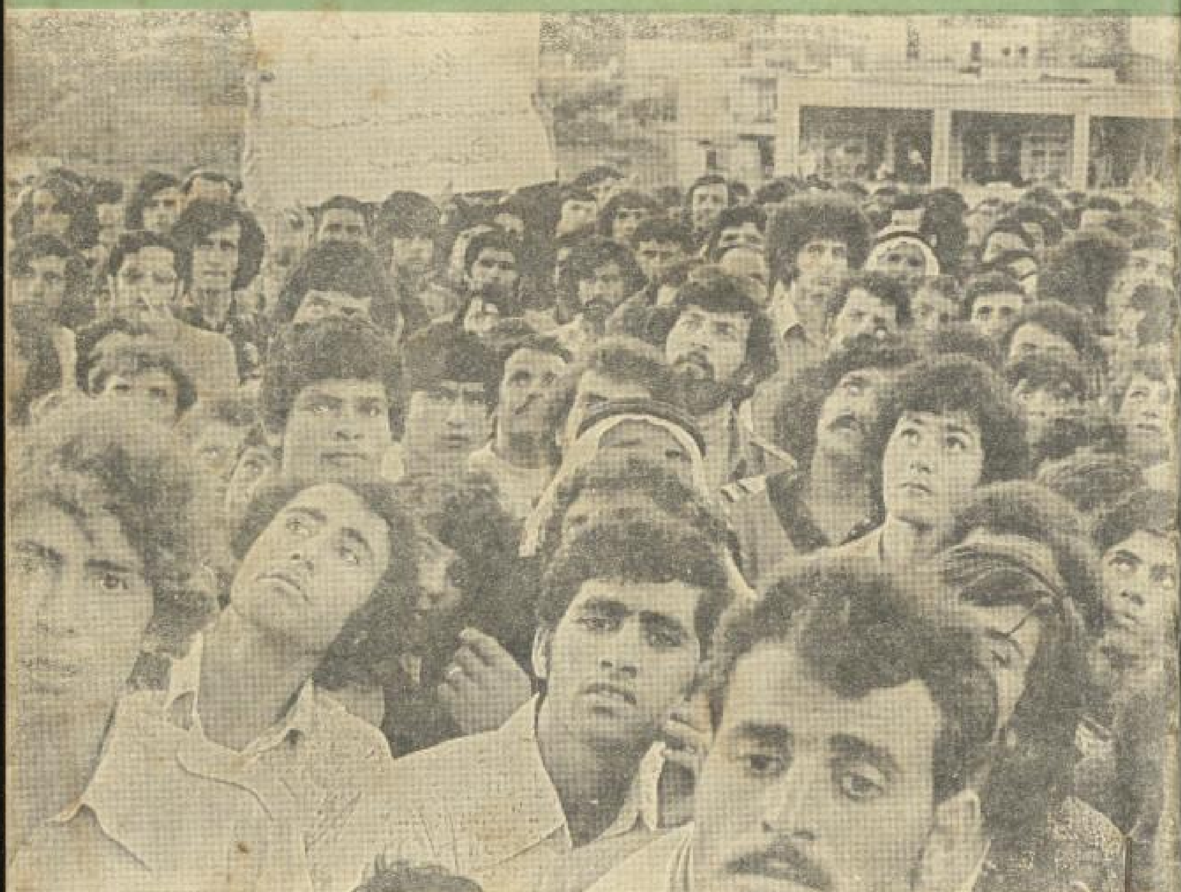
الجديد

٣، ٤ ـ آذار، نيسان
الثمن: ٦ ليرات

شهرية الريادة الثقافية
ـ تأسست عام ١٩٥١ ـ



* الغضب ـ الصمود ـ التحدي : من ملامح جماهيرنا العربية بعد يوم الارض والشهادة، الثلاثين من آذار ١٩٧٦ . والصورة لجانب من احدى التظاهرات الشعبية في وداع الشهداء ..

AL-JADEED

אל-ג'דיד

★ رأي الجديد ★

مؤتمر علمي

● فى النصف الاول من نيسان عام ١٩٧٦ عقدت جامعة حيفا مؤتمرا دوليا حول « الفلسطينيين والنزاع فى الشرق الاوسط » باشتراك « خبراء » ـ اغلبهم من دائرة الاستخبارات الاسرائيلية ومن المستشرقين الاسرائيليين والاجانب ، وبعض الاساتذة المحاضرين العرب .

وكان الهدف المعلن : البحث العلمي . والهدف غير المعلن: التضليل السياسي . فالمبادرون الى هذا اللقاء ارادوا ان يكون المؤتمر منبراً يبشر قادة اسرائيل من على منصته بسياستهم التقليدية الرتيبة وتردد اللازمة من ورائهم جوقة « علمية » ..

ولهذا كان وزير الحربية شمعون بيرس من اوائل المحاضرين .. وكانت محاضرته النغمة الاصلية فى البناء الموسيقي العام ..

وحتى لا نتهم باللاموضوعية او بالتحيز الانعزالي نقرر ان بعض الذين اشتركوا فى المؤتمر من الاساتذة الجامعيين الاسرائيليين والاجانب رفضوا الاشتراك بالنشيد العام فكانوا نشازاً .. وبذلك اسهموا فى « تلطيف » الجو الصهيوني العام ..

كذلك علينا ان نقرر ان حقائق العصر تسربت الى قاعة المؤتمر وفرضت نفسها على المؤتمرين وكان عليهم ان يعالجوها ..

ومن ابرز هذه الحقائق : منظمة التحرير الفلسطينية ..
حتى شمعون بيرس كان عليه ان يتخذ موقفا منها .. ويفلسف رفض

السلطة الاسرائيلية التعامل معها .. وكان هذا الأمر بدهياً بعد أن دعا اكثر من محاضر الى ضرورة بحث حقوق الشعب العربي الفلسطيني ..

ومن علائم العصر التي لم يعد من الممكن تجاهلها ان بعض المحاضرين الاجانب المحوا الى نظرة الشعوب العربية الى اسرائيل حين لاحظوا ان الدول العربية لم تغير رأيها من أن اسرائيل هي دولة عنصرية ذات أهداف توسعية .

لا نستطيع الفصل بين الغث والسمين في اعمال هذا المؤتمر .. فالمحاضرات لم تنشر حتى الان والشذرات في الصحف السيارة لا تغني عنها .. والأمر الجوهري ان هذا المؤتمر لم يف بهدفه المعلن كما قررنا في البداية .

ومع هذا نريد ان نتعرض الى محاضرة واحدة تؤلف في رأينا منطلقات حكام اسرائيل الذين يرفضون الاعتراف بوجود الشعب العربي الفلسطيني ..

هذه المحاضرة القاها المستشرق ايلي خادوري الذي وصفته الصحف الاسرائيلية بأنه أحد كبار العلماء المتخصصين في الشرق الاوسط في العالم .

اكد هذا العالم ، المعروف بعدائه الشديد للشعوب العربية عامة ، ان القوانين السياسية الاجتماعية العامة والسائدة لا تنطبق على الفلسطينيين ..

وكان يرد بذلك على البروفيسور دون بيرتس من جامعة نيويورك الذي قال ان البناء الاجتماعي سيقرر طبيعة الدولة الفلسطينية عند قيامها لا التصريحات السياسية الطنانة ..

وفي سبيل البرهنة على صدق نظريته قال خادوري ان السياسة ـ وبشكل خاص ـ معاداة الصهيونية كانت العامل الجوهري في بلورة طابع الشعب الفلسطيني الاجتماعي . ولهذا أدى التوجه السياسي الى فوضى في نسق الحياة الاجتماعية لدى الشعب العربي الفلسطيني .

واستنتج من هذا ان هناك غربة ضخمة بين السياسة والمجتمع بين الفلسطينيين .. ولذلك ، ما دامت القوانين العامة لا تسري على الشعب العربي الفلسطيني فلا يمكن الاعتراف بالحقوق التي يعترف بها المجتمع الدولي ..

لقد اصاب البروفيسور كارل الروي من جامعة برنستون حين قال ان التفكير الصهيوني لون التوجه ازاء الشعوب العربية وشحنه بالاخطار والتقديرات المغلوطة .. وأضاف : اذا أردتم دراسة العرب لا تدرسوا اليهود او تستخدموا مقولات يهودية بل عليكم ان تدرسوا العرب وهذا لا يكون في وزارة الخارجية ، عليكم ان تذهبوا الى العرب .

ولكن هذه النصيحة ذهبت هباء .. وحكام اسرائيل لن يقبلوا بها ولن يعترفوا بالشعب العربي الفلسطيني الا قسرا .. وسير التاريخ سيفرض ذلك لان الشعب العربي الفلسطيني لا يختلف عن سائر الشعوب الا بشكل معركته التحررية لا بجوهرها .

« الجديد »

شـــهداء الارض الغـــالية
خـــالدون خـلود الوطن فى قلوب شـــعبهم

خير محمـــد ياسين — من عرابـــة
خديجة قاسم شواهنة — من سخنين
رجا حسين ابو ريـــا — من سخنين
خضر عبد خلايلة — من سخنين
محسن يوسف طه — من كفر كنا
رأفت زهيري — من نور شمس ، أستشهد فى الطيبة

- شهداؤنا انعشوا تراب الوطن فى يوم الارض ، الثلاثين من آذار ١٩٧٦
- نعاهدكم يا شهداءنا الابرار ، ونعاهد تراب الوطن الذي بذلتم ارواحكم من اجله على مواصلة الكفاح ضد الظــلم والارهـــاب الصهيونيين العنصريين ..
- المجد والخلود .. لكم ، للوطن ، وللشعب الصـــامد .

هيئة تحرير « الجديد »

صليبا خميس

الاستراتيجية الصهيونية والارض

« ملكيـــــة الارض الخاصة فى المناطق التي تمنح لنا يجب ان ننتزعها تدريجيا من ايدي اصحابها . افقر السكان منهم يجب ان نحاول نقلهم بهدوء الى خارج الحدود وايجاد العمل لهم فى الاقطار التي ينقلون اليها . ولكن فى بلادنا يجب أن نحرمهم من العمل . اصحاب الاملاك ينضمون الينا . نقل ملكية الارض وتهجير الفقراء يجب تنفيذهما بليونة وحذر . ولندع الملاكين يعتقدون انهم يستغلوننا بتقاضي اثمان تفوق قيمة الارض .. ولكن لا ارض يعاد بيعها الى اصحابها » (١)

هناك حقيقة غابت زمناً طويلا عن عيون العالم ، وحتى عن عيون الدوائر المقررة فى العالم العربي حول الاستراتيجية الصهيونية فى المنطقة . فقد توهم البعض ، ان مجرد اقامة وطن قومي ، فى دولة خاصة باليهود تحل المسالة اليهودية فى فلسطين ، باعتبار قيام دولة يهودية فى قسم من فلسطين هو الهدف النهائي للحركة الصهيونية .

غير أن قيام الدولة اليهودية ، لم يكن الا تحقيق مرحلة فى مخطط الحركة الصهيونية، التي جعلت دولة اسرائيل مرتكزاً لها وللدول الامبريالية واحتكاراتها لضرب حركة التحرر القومي العربية ، والتوسع المستمر بمساندة القوى الامبريالية التي تحمي اسرائيل مصالحها وتخدم اهدافها الاستراتيجية فى المنطقة .

ويؤكد ان القيادة الصهيونية لم تتخل عن استراتيجيتها العامة ، تفاقم النزاع الاسرائيلي – العربي بامتداد مطامع التوسع ليس على جميع فلسطين وحسب ، بل على اقسام من اراضي الدول العربية المجاورة ، وعلى النفط العربي ، والممرات البحرية العربية ، وعلى من يكون صاحب السيادة فى المنطقة !

ويؤخذ من مذكرات هرتسل ، ان الحركة الصهيونية منذ نشاتها كحركة سياسية وضعت امامها هدف الاستيلاء على الحد الاقصى من الارض ، كقاعدة حتمية لاقامة دولة يهودية كبيرة . والماثور عن بن غوريون انه وافق على قرار التقسيم باعتباره نقطة قفز للاستيلاء على جميع اجزاء فلسطين .

والاستراتيجية الصهيونية لم تتغير بعد قيام الدولة اليهودية ، بل ربما تغيرت الاساليب بالنسبة لتغير توازن القوى . ولكن هذه الاستراتيجية كما وصفها احد آباء الاستيطان الصهيوني فى فلسطين اوشسكين عام ١٩٠٤ هي كما يلي :

« من اجل تاسيس حياة مستقلة للطائفة اليهودية – او على الاصح ، تاسيس دولة يهودية فى فلسطين ، من المحتم بالدرجة الاولى ، ان تكون جميع اراضي فلسطين او معظمها ملك شعب اسرائيل . وبدون حق ملكية الارض ، لا تكون فلسطين يهودية أبدا ، مهما يكن عدد اليهود فى المدن والقرى ... ولكن كيف يمكن الحصول على ملكية الارض حسب الاساليب المتبعة فى العالم ؟ باحدى الطرق الثلاثة التالية فقط : بالقوة – بواسطة الاحتلال العسكري ، او بمعنى آخر اغتصاب الارض من ايدي اصحابها . ثانيا بالقسر ، اي مصادرة الاراضي على يد الحكومة . وثالثا بشراء الاراضي من اصحابها باختيارهم ... » (٢) .

من ملايين الدونمات التي صادرتها الحكومة منذ قيام الدولة باعتبارها املاكا متروكة الغائبين . صادرت الحكومة زهاء اربعين بالمئة من الاراضي التي يملكها العرب فى اسرائيل والمقيمين فيها بصورة قانونية . (٣)

« الاملاك المتروكة كانت من أهم العوامل لجعل اسرائيل دولة ذات مقومات . ان مساحة هذه الاملاك وكون معظم مناطق الحدود من أملاك متروكة ، جعل هذه الاملاك ذات قيمة استراتيجية بارزة . من مجموع ٣٧٠ مستوطنة يهودية اقيمت بين ١٩٤٨ واوائل سنة ١٩٥٣ ، هناك ٣٥٠ مستوطنة اقيمت على اراضي الغائبين . (٤) وفى سنة ١٩٥٤ كان اكثر من ثلث السكان اليهود فى اسرائيل وثلث المهاجرين اليهود الى اسرائيل ايضا (٢٥٠،٠٠٠) يعيشون على اراضي الغائبين العرب ... » (٥)

وضعت لجنة التوفيق الدولية بشان فلسطين ، تقديرا لحجم املاك الغائبين العرب فى اسرائيل فقالت ان الارض الزراعية من هذه الاملاك كانت تساوي ضعفين ونصف الضعف من مجموع ممتلكات اليهود فى نهاية

(البقية على صفحة ٨٣)

فـدوى طوقـان

ثلاث قصائد

● لا وقت للحب ●

موعدنـا كان على المنحـدر
ذات مسـاء مضيء
أمرع فيه حلـم وازدهـر
شـوق ملـيء

لكننى حـين وقفت والتفـت
اطـل ثـم حـط
طير سنـين القحـط !

حطمـت مـرآتى
دمرت فيهـا الحلم والاشـواق
وعـدت أدراجى
أخبط فى معركة الاعمـاق

ذاك المسـاء المضـيء
رجـوت مـن تحبـه نفسى
أن لا يجـيء !

● وطـــلع القمر ٠٠ ●

دربى موحشة يزحف فيها جبــل الليل
تتشقق تحتى أرضى العطشــى
تتراخى ، تفلت ، لا تتماسك ،
ـ تهرب أرضى مــن قدمى
دربى يحجزها خط النار ، يزنرها حقــل الالغــام
ـ تحاصرها نقط التفتيش
غيلان الليــل تطــارد فيهــا حتى الظل
وتمزق حتى شفتى طفــل
غنى فى الــدرب : أريد أعيــش !

وأنـــا فى قبضة هــذا الليـــل
والوطن هنا الغربــة والنفى
يا قمرى كيف وصلت الى ؟!

● كنـــوز الخير ●

الشوق شــراع مفتــوح
والرؤيــا سيدة الريــح
تتهاوى كل اجدران ويبحر وجهك فى عينى

يشتعل الحلم ، نخيل أريحــا يضحك للشمس
يتحرك قلب « البحر الميت » يحلو مــاء الملح المر
تعلــو الامواج يفيض البحــر
تغسل كفاه فى وطنى قسمات الحزن الخوف اليأس
الارض العطشى تخضــر
تخفق أجنحة الطير !
آخــذ وجهــك فى كفــى
تنفتح ، تفيض كنــوز الخــير !

سميح القاسم

مقاطع من :

٣٠ آذار

(اعلناه يوما للارض .. واعلنته دماء شهدائنا عيدا فلسطينيا من اعياد الصمود والفداء ..)

● ١ - مع الشهداء .. ●

« كل عام وانتم بخير »
صاحها دمكم والكفا
ساخنا نابضا في وجام الجذور
نيزك الحب والحقد صاح : انهضوا !
اج' في الليل نارا ونور
اشعل الحب والحقد في دمنا
زلزل الطمي في غورنا والكفا
دمكم - دمنا
سال ، لكنه ما انطفا ..

(يا ام الشهيد زغردي
كل الشباب اولادكِ)

الاذاعات والصحف المترفه
تجهل الفرق يا اخوتي
بين معرفة الدم ، والمعرفه
فاكرزوا في الشعوب ، اكرزوا باسمنا
دمكم صوتنا !

قضايا متفاوتة في طابعها ونوعيتها وأسبابها .

الارض هي القضيـــــة

لكن القضيـــة الاساسية التي تواجهها الزراعة العربيـــة في اسرائيل كانت ولا تزال قضية الارض . فهي عنصر رئيسي من عناصر الانتاج الزراعي . وبـــدون الارض لا يمكن ممارسة أي نشاط زراعي جدي . وقـــد استفحل خطر هذه القضية ، بشكل خاص بعد عام ١٩٤٨ وقيام الدولـــة ، اذ رافق قيامها تشريد عشرات آلاف القرويين العرب عن قراهم وتدمير قطاعات زراعيـــة اساسية فيها وتخريبها ومصادرة الارض التي كـانت تقوم عليها عشرات القرى العربية .

ولم تكتف الحكومات الاسرائيلية المتتالية بتشريد عشرات آلاف القرويـــين العرب عن قراهم [1] في السنوات الاولى لقيام الدولة ، أي في الاعـــوام ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ ، ومنعهم من العودة اليها وتشريـــع مختلف الانظمة والقوانين التعسفية والاستبداديـــة لاضفاء الصفة القانونية على مصادرتها وابعاد القرويين عنها ، انما واصلت طيلة السنوات ال – ٢٨ الماضية القيام بابشع عملية سلب منظم وواسع للاراضي العربيـــة في اكثر من مئة قريـــة وتجمع عربي في الجليل والمثلث والنقب .

لقد صادرت السلطات الاسرائيلية ، وفق المعطيات الرسمية على قلتهـــا بين ١٩٤٨ – ١٩٦٣ ، أكثر من ٥٥ بالمئة من اراضي القرى العربية ال – ٨٨ التي ظلت قائمة في اطار الدولة ولم يُرَحَّل سكانها . ففي عام ١٩٤٨ كانت هذه القرى ال – ٨٨ تمتلك مليونـــا و ٢٣٦ ألف دونم لم يبق منها في حوزتها ، في عـــام ١٩٦٣ ، الا ٧٩٩ ألفا و ١٣٩ دونما ، منها ٣٨٦ ألف دونم اراضي زراعيـــة [2] . أي ان مساحة الارض التي صودرت من هذه القرى بلغت ، حتى عام ١٩٦٣ ، ٦٥٢ ألف دونم منها ٤١٨ ألف دونم اراضي زراعية .

ومنذ اوائل الستينات لم تتوقف طاحونة السلب عن الدوران .. فعملت الحكومة ولا تزال ، بمختلف الوسائل ، على انتزاع ٢٢٠ الف دونم أخرى من ملكية ٤٢ قرية عربية في الجليل ، ادعت الدولة ملكيتها [3] ، وهي اراضي ، كما تزعم السلطات ، اما مسجلة على اسم المنـــدوب السامي واما اراضي

---

١ – جاء في كتاب البروفسور حاييم هلبرين « عن التحولات الزراعية في اسرائيل » ، الذي صدر في عام ١٩٦٣ ، أنه الى الشمال من بئر السبع كان هناك ٣٦٤ قرية عربية في اطـــار حدود الدولة لم يبق منها الا ٨٨ قرية فقط . وكانت مـــساحة الاراضي التي تمتلكها هـــذه القرى قبيل قيام الدولة ٤ ملايين و ٣١١ الف دونم منها مليونان و ٧٥٢ ألف دونم اراضي مستصلحة زراعيا . ولقد سيطرت الدولـــة بعد تشريـــد أكثرية سكان هذه القرى على مليونين و ٨٠٠ الف دونم منها ١٢٩ مليون دونم اراضي زراعية ..

« المجلس الشعبي للرخـــاء الاجتماعي » دراسة ، في شباط من العام الجاري ، أكدت فيها ان قضية القضايـــا المتعلقة بالارض في القرى العربية هي قضية الملكية . ولقد كانت للقرى العربية طيلة سنوات الدولة تجربـــة مرة جدا في هذا المجال . فالدولة تدعي ملكية ٥٥ بالمئة من الاراضي الواقعـــة ضمن نفوذ القرى العربية الواقعة في الشمال من الرملة . فمن اصل ٨٥٨ الفا و ٧٩١ دونما تقع ضمن نفوذ القرى العربية تدعي الدولة ملكية ٤٧٢ الفا و ٧٩٨ دونما ، منها ٤١٣ الفا و ١٤٦ دونما اراضي صخرية .

٣ – تقدير « دائرة اراضي اسرائيل » لعام

٢ – اصـــدرت شعبة الشؤون العربية في ١٩٦٢ / ١٩٦٣ .

حرشية او صخرية او بور او موات . أي ان مجموع ما خسرته القرى العربية من اراضي يزيد على ٨٧٢ الف دونم ، او ثلثي ما كانت تمتلكه تقريبا . وهي في معظمها اراضي زراعية خصبة وصالحة للمراعي والاحراش .

الزراعة العربية تفقد عنصر الانتاج الرئيسي

لقد الحقت عملية سلب الارض الواسع والمنظم اضرارا بالغة جدا بالزراعة العربية ، اذ حرمتها من عنصر الانتاج الرئيسي في كل زراعة – من الارض . وحرمتها بذلك من فرص التطور الجدي والانتعاش. ونتيجة لذلك وجد آلاف القرويين العرب ، الذين كان ٧٥ بالمئة منهم يعتاشون من العمل في الزراعة وما يرتبط بها ، انفسهم وقد فقدوا ، بين عشية وضحاها ، مصدر الرزق الرئيسي لديهم ولدى عائلاتهم – الارض .

ففي حين خسرت القرى العربية الواقعة الى الشمال من منطقة بئر السبع ثلثي اراضيها ارتفع عدد السكان العرب في معظم هذه القرى ثلاث مرات ، وفي بعضها ٤ مرات، بالمقارنة مع ما كان عليه في عام ١٩٤٨ . ومن الطبيعي ان يترتب عن ذلك انخفاض ملحوظ في متوسط مساحة الارض ، عامة ، التابعة للقرية العربية ومساحة الارض المزروعة بشكل خاص بالنسبة لكل مواطن في تلك القرى .

فاذا كان متوسط عدد السكان في القرية العربية قبل عام ١٩٤٨ قرابة ١٠٩٠ نسمة ارتفع هذا المتوسط بعد قيام الدولة مباشرة الى ١٢٤٤ نسمة (نتيجة لالتجاء الآف القرويين المشردين الى القرى العربية القائمة) والى ما يتراوح بين ٤ آلاف و ٥ الاف نسمة في عام ١٩٧٥ .

وبالمقابل انخفض متوسط مساحة الارض ، عامة ، التابعة للقرية العربية من ١٦ الفا و ٥٠٠ دونم قبل عام ١٩٤٨ الى ١٤ الفا و ٧٠٠ دونم مباشرة بعد قيام الدولة ، ثم الى ٧ آلاف و ٦٨٥ دونما في عام ١٩٦٣ والى قرابة ٥٠٠٠ دونم في عام ١٩٧٤ .

وانخفض ، كذلك ، متوسط مساحة الارض المزروعة في القرية العربية من ٩ آلاف و ١٣٦ دونما قبل عام ١٩٤٨ الى ٦ آلاف و ٦٠٠ دونم بعد قيامها والى ٣ آلاف و ٧١١ دونما في عام ١٩٦٣ والى اقل من ذلك في عام ١٩٧٤ .

اما متوسط مساحة الارض التابعة للقرية بالنسبة للنفر الواحد فانخفض من ١٦ دونما قبل عام ١٩٤٨ الى ١٢ دونما بعد قيام الدولة مباشرة فالى ٦،٤ دونم في عام ١٩٦٣ والى اقل من دونم واحد في عام ١٩٧٥ ... وانخفض ، بالنسبة الحادة ذاتها ، متوسط الارض المزروعة في القرية بالنسبة للنفر الواحد .

وتقلصت ، ايضا ، مساحة الوحدة الزراعية الانتاجية في القرية العربية . فاذا كان متوسط مساحة الوحدة الزراعية الانتاجية في القرى العربية في عام ١٩٤٤ (٤) ٦٧،٣ دونما انخفض هذا المتوسط الى ٣٨،٥ دونما في عام ١٩٥٠ (٥) والى ٢٦،٩ دونما في عام ١٩٦٣ (٦) .

ولقد أجرت وزارة الزراعة دراسة حول اوضاع الزراعة في القرى العربية في عام ١٩٦٣ شمل ١٠٤ قرى عربية الى الشمال من

---

٤ – حاييم هلبرين « عن التحولات الزراعية في اسرائيل » .

٥ – دراسة للدائرة المركزية للاحصاء – ١٩٤٩ – ١٩٥٠ .

٦ – من بحث اجرته وزارة الزراعة عن الزراعة العربية في اسرائيل ، عام ١٩٦٣ .

منطقة بئر السبع . وقد اتضح من هذه الدراسة ان ٤٥ بالمئة من سكان هذه القرى لا يمتلكون اراضي زراعية وان ٥٥ بالمئة من السكان يمتلكون ٣٨٦ الف دونم من الاراضي المزروعة . وكشفت الدراسة عن ان ٦٦ بالمئة من السكان الذين يمتلكون اراضي زراعية يتراوح ما يمتلكونه بين ١ - ٣٠ دونما ، اي اقل من مساحة الارض الكافية لضمان اعالة اصحابها بصورة مستقلة . وفقط ٥ بالمئة من اولئك السكان يمتلكون اكثر من ١٠٠ دونما ، اي يستطيعون الاعتماد كليا على العيش من العمل في الزراعة .

يتضح من كل هذا ان القرى العربية خسرت قرابة ثلثي اراضيها الزراعية منذ قيام الدولة وان هذا ادى الى انخفاض ملحوظ في مساحة الوحدة الزراعية الانتاجية في القرى العربية وهبوط في متوسط الارض الزراعية بالنسبة للنفر الواحد في تلك القرى. هذا فضلا عن انتشار الملكية الصغيرة للارض في قرانا العربية وما يترتب عنه من نتائج سلبية على تطور الزراعة العربية في اسرائيل، عامة . كما ان القسم الاكبر من هذه الاراضي اراضي بعل فلا يروى منها الا القليل .

ونستطيع على ضوء هذه المعطيات ان نفهم الاسباب الحقيقية للتحول في بنية العمالة في القرى العربية . فنتيجة لسلب السلطات لثلثي الاراضي الزراعية العربية ولانتشار وحدات الانتاج الزراعية الصغيرة وتضييق السلطات الخناق على المزارعين العرب يضطر قرابة نصف القرويين العرب ممن يمتلكون اراضي زراعية الى العمل خارج قراهم وفي فروع انتاج غير الزراعة . ففي حين بلغت نسبة القرويين العرب العاملين في الزراعة قبيل ١٩٤٨ ٧٥ بالمئة من مجموع سكان القرى انخفضت هذه النسبة الى ٤٢ بالمئة في عام ١٩٦٣ . هذا مع العلم ان قسما من العاملين في الزراعة يعمل خارج ، مكان سكناهم اي في المستوطنات والكيبوتسات اليهودية . وفي عام ١٩٦٤ بلغت نسبة العاملين في الزراعة من مجموع الايدي العاملة العربية ٢٥٫٦ بالمئة .. ثم انخفضت الى ٢٣٫٢ بالمئة في عام ١٩٦٩ (٧) والى ١٩٫٢ بالمئة في عام ١٩٧٣ و ١٤٫٨ بالمئة في عام ١٩٧٤ (٨) .

ومع ذلك فان نسبة العاملين من العرب في الزراعة لا تزال عالية وتبلغ اكثر من ثلاثة اضعاف نسبة العاملين من اليهود في الزراعة عامة .. فاذا بلغت نسبة العاملين في الزراعة عامة من مجموع الايدي العاملة الكلي في البلاد ٧٫٥ بالمئة في عام ١٩٧٣ بلغت نسبة العاملين من اليهود في الزراعة في هذا العام ٦٫٢ بالمئة، بينما بلغت هذه النسبة بين العمال العرب ١٩٫٢ بالمئة ، او ما يعادل ٢٥ بالمئة من الاهلين العرب .

٩٠ بالمئة من الزراعة العربية زراعة بعلية

تؤكد المعطيات الرسمية ، وبشكل خاص « كتاب الاحصاء السنوي لاسرائيل » ، ان مساحة الارض العربية المزروعة في اسرائيل تتراوح بين ٨٨٥ و ٨٩٥ الف دونم . ولكن هذه المعطيات من شانها ان تثير انطباعا خاطئا ومضللا .. فهي تتجاهل حقيقة ان القسم الاكبر من هذه الاراضي يقع في الجنوب من منطقة الرملة ، اي في النقب . ومن المعلوم ان منطقة النقب منطقة جافة يقل فيها هبوط المطر وتتهدد اراضيها الجفاف باستمرار ومردودها قليل ، كما ان استخدام التربة في بعض هذه المناطق لضمان انتاج زراعي مكثف يتطلب احداث اصلاحات جذرية في التربة

٧ - كتاب الاحصاء السنوي لعام ١٩٧٠ ، ص ٢٧٢ .

٨ - كتاب الاحصاء السنوي لعام ١٩٧٥ ، ص ٣٠٢ .

واستخدام المكننة العصرية واساليب الزراعة الحديثة وخبرة فنية فى العمل الزراعي .

ولكن لا يخفى على احد واقع ان السلطات الرسمية تتعمد ليس فقط اهمال الزراعة العربية فى مناطق النقب ، انما تصفية هذه الزراعة وتركيز عرب النقب فى تجمعات سكنية بعيدا عن اراضيهم ، بعد ارغامهم على التنازل عنها وتحويلهم الى أيدي عاملة بخسة تستغلها فى المستوطنات اليهودية ومنشآت البناء والمجالات الاخرى .

وعلى الرغم من قلة المعطيات عن مساحة الاراضي العربية المصادرة فى مناطق النقب الا ان بعض التقارير تقدر ان السلطات سلبت ولا تزال تخطط لسلب اكثر من مليون دونم من اراضي عرب النقب ومراعيهم .

وعليه لا نستطيع التحدث عن زراعة عربية جدية الا فى المناطق الواقعة الى الشمال من بئر السبع ، حيث لا تزيد مساحة الاراضي العربية المزروعة عن ٤٢٠ ـ ٤٥٠ الف دونم . ومع ذلك فسنعتبر مساحة الارض العربية المزروعة ٨٥٠ الف دونم ، لان هذا يشكل اساسا لحساب معطيات أخرى هامة وضرورية عن الزراعة العربية .

جدول رقم ١

وفيما يلي جدول رقم ١ بمساحة الارض العربية المزروعة وانواع المزروعات فيها وحجم المساحة المروية منها :

الاعوام	مساحة الارض المزروعة بالآلاف الدونمات	منها مروية	مروية غلال ومحاصيل حقلية	خضروات بطاطا ومقاثي	فواكه	متفرقات (١)	نسبة الارض المروية
١٩٥٩ ـ ٦٠	٧٤٥	٢٨	٥٥١	٥٦	١٢٢	١٦	٣٫٧
١٩٦٤ ـ ٦٥	٨٥٠	٣٥	٦٢٧	٧٧	١٢٦	٢٠	٤٫١
١٩٦٩ ـ ٧٠	٧٦٦	٤٦	٥٣٢	٧٩	١٣٠	٢٥	٦٫٥
١٩٧٠ ـ ٧١	٧٧٢	٥٤	٥٣٧	٨٠	١٣٠	٢٥	٧
١٩٧١ ـ ٧٢	٧٦٠	٥٨	٥٢١	٨٥	١٣٠	٢٤	٧٫٥
١٩٧٢ ـ ٧٣	٧٦٥	٦٢	٥٢٥	٨٦	١٣٠	٢٤	٨٫١
١٩٧٣ ـ ٧٤	٨٨٥	٦٨	٦١٩	١١٢	١٣٠	٢٤	٧٫٦
١٩٧٤ ـ ٧٥	٨٩٥	٧٥	٦٢٥	١١٦	١٣٠	٢٤	٨٫٧

يستدل من الجدول ان الزراعة العربية فى اسرائيل لا تعاني ، فقط ، من نقص خطير فى الارض الصالحة للزراعة ، انما كذلك من نقص بالغ فى مساحة الارض المروية سببه النقص الكبير فى مخصصات المياه للري التي تحصل عليها الزراعة العربية . ففي حين تبلغ نسبة الارض المروية فى الزراعة اليهودية اكثر من ٤٠ بالمئة تتراوح هذه النسبة فى الزراعة العربية بين ٣ واقل من ٩ بالمئة .. فاكثر من ٩٠ بالمئة من الاراضي العربية

١ ــ مشاتل وازهار .... وغيرها .

ــ المصدر : الكتاب السنوي للاحصاء ، ١٩٧٣ و ١٩٧٥ .

المزروعة تزرع بعلا . ويعتبر النقص الكبير في مخصصات الري للزراعة العربية احدى القضايا الاساسية التي تعاني منها الزراعة في قرانا . وهي ان تكشف عن شيء فعن التمييز الفاضح الرسمي تجاه الزراعة العربية . وتكشف المعطيات الرسمية عن ان حصة الزراعة العربية من مخصصات المياه للري لا تزيد حاليا عن ١٠٧ بالمئة ، بينما تبلغ نسبة الارض العربية المزروعة حوالي ١٠ بالمئة من الارض الزراعية في البلاد.

ومع ان عدد تعاونيات المياه في القرى العربية ازداد ثلاثة اضعاف في الفترة بين ١٩٦١ - ١٩٧٣ من ٣٩ الى ١٠٨ تعاونيات فان حصة المياه للري المخصصة للزراعة العربية لم تزد في هذه الفترة اكثر من مرة ونصف المرة . وقد بلغ عدد جمعيات المياه التعاونية في القرى العربية حتى ٣١-١٢-٧٤ ٥٨ جمعية مياه للشرب و ٥٤ جمعية مياه للري (٩) .

أضف الى ذلك ان القرى التي تحصل على مخصصات مياه للري لا تنال الكمية الضرورية فعلا لزراعتها . فمثلا خصصت وزارة الزراعة في عام ١٩٧٤ الف متر مكعب من المياه لمزارعي التوت في قلنسوة ، بسعر ١٥ اغورا للمتر المكعب ، في حين ان ما يحتاجه الدونم الواحد فعلا يصل الى ١٥٠٠ متر مكعب . وكل متر مكعب يستهلكه مزارعو التوت في قلنسوة زيادة على الالف متر مكعب، المخصصة للدونم الواحد ، يدفعون ثمنه ٧٥ أغورا أي بزيادة ٦٠ أغورا ... ومن الواضح ان هذه خسارة كبيرة يتحملها المزارعون انفسهم .

وليست قلنسوة الا مثلا لما هي عليه حالة الزراعة العربية .. ففي دير حنا خصصت « مقوروت » ٣٤ الف متر مكعب لجمعية « الزهراء » التعاونية في القرية ، التي انشاها الاهلون في عام ١٩٦٤ . وقد خصص من هذه الكمية ٤ آلاف متر مكعب فقط للري. وقد طالب الفلاحون باستمرار في زيادة مخصصات المياه للري ، وذلك لتقليل تكاليف الانتاج الزراعي . فقد كان سعر استهلاك المتر المكعب من المياه للري في حينه ١٥ اغورا في حين بلغ سعر المتر المكعب للشرب ٢٠ اغورا . ولكن « مقوروت » لم ترفع مخصصات المياه لهذه القرية الا في عام ١٩٧٤ وبعد ان بلغ استهلاك المياه ٧٥ ألف متر مكعب ، أي بزيادة ٤٠ ألف متر مكعب عن الكمية المقررة . وحتى حين رفعت « مقوروت » مخصصات المياه لهذه القرية الى ٨٠ الف متر مكعب خصصت منها ١٢ الف متر مكعب للري ، هذا فضلا عن المتاعب المالية التي فرضتها « مقوروت » على جمعية « الزهراء » في دير حنا .

وفي كثير من القرى العربية التي حصلت على مخصصات اعلى لمياه الري اشترطت وزارة الزراعة للمصادقة على ذلك بأن يزرع المزارعون العرب في تلك القرى اصنافا محددة من الخضروات او الفاكهة مثل السالري في كفر قرع وبير السكة ، وتوت الارض في الطيرة وقلنسوة .... وغير ذلك .

وقد اعترفت وزارة العمل في نشرتها الشهرية بالمصاعب العديدة التي تواجه جمعيات المياه للري في القرى العربية . جاء في النشرة (١٠) :

---

٩ - جاء في النشرة الشهرية لوزارة العمل والتامين القومي عدد ١١-١٢/١٩٧٥ انه هناك ١٦٨ جمعية تعاونية في الوسط العربي منها ١١٢ جمعية مياه و ٩ جمعيات زراعية وجمعيتان للتسويق الزراعي و ٧ جمعيات انتاجية و ٣ جمعيات استهلاكية .

١٠ - النشرة الشهرية لوزارة العمل ، ١٥ تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٧٥ ، صفحة ٢٩٨ .

« تواجه جمعيات مياه الري مشكلة النقص في الماء .. وهناك جمعيات لم تنل زيادة في مخصصات المياه الممنوحة لها منذ تأسيسها على الرغم من اتساع عدد اعضائها ، الامر الذي يشكل عائقا امام تطوير فروع جديدة في عمل التعاونيات مثل تطوير زراعة الفواكه وتربية الحيوانات . ويُعتبَر المزارعون العرب اليوم مستهلكون لهذا الناتج الزراعي ، اي الفواكه والحيوانات ، بدلا من أن يكونوا منتجين له . وان عددا من جمعيات مياه الري يستهلك من المياه اكثر مما خصص له .. ولا يستطيع عدم تجاوز قانون استهلاك المياه الذي يتشدد بفرض غرامات كبيرة على مخالفيه ومتجاوزيه » .

ومن الواضح ان النقص الكبير في مخصصات المياه للزراعة العربية يؤثر سلبا في اتجاهين اساسيين :

١ ـ في انتاجية الزراعة العربية ، ٢ ـ في نوعية المزروعات واصنافها .

فمن الامور الثابتة اليوم والبديهية ان انتاجية الدونم الواحد المروي تعادل انتاجية ٤ دونمات مزروعة بعلا . وعليه فان وحدة الانتاج الزراعية في الزراعة اليهودية تبلغ ٣ اضعاف وحدة الانتاج الزراعية في الزراعة العربية . فوفق المعطيات الرسمية تبلغ الوحدة الزراعية في الوسط اليهودي ، بالمتوسط ، ٤٢ [11] دونما منها ٢٠ دونما اراضي مروية . اما الوحدة الزراعية في الزراعة العربية فتبلغ بالمتوسط ٢٦ دونما ، منها اقل من دونمين اراضي مروية . من هذا يتتج ان الوحدة الزراعية في الزراعة اليهودية تصل مساحتها ١.٢ دونما في حين لا تزيد مساحتها في الزراعة العربية عن ٣٤ دونما بالمتوسط . ومن الواضح ان هذا الفارق الكبير ينعكس في انتاجية الزراعة العربية للدونم الواحد ومن ثم في مداخيل الفلاح العربي . وهو يفسر ، بالاضافة الى عوامل اخرى مثل الاستخدام الواسع للمكننة الحديثة والاسمدة الكيماوية ومبيدات الحشرات والخبرة الفنية وتركيز الارض ، يفسر الفارق الكبير في انتاجية الدونم الواحد بين الزراعة اليهودية والزراعة العربية .

ولناخذ مثلا زراعة شمندر السكر ، التي ادخلت مؤخرا الى عدد من قرى البطوف .. فانتاجية الدونم الواحد في الزراعة المروية تبلغ ٦ طن من شمندر السكر . وهذه تنتج ٨.٥ كيلوغرام من السكر . اما انتاجية الدونم الواحد في الزراعة البعلية (اي العربية في الاساس) [12] فلا تزيد عن ١٤٦ طن من شمندر السكر ، او ما يعادل ٢.٨ كغم من السكر .

وينسحب الامر ذاته على انتاج الخضروات عامة . فمثلا بلغت مساحة الارض العربية

١١ ـ اقترح رعنان فايتس ، المسؤول عن الاستيطان في الوكالة اليهودية ، جعل الوحدة الزراعية الانتاجية في المستوطنات اليهودية ٥٥ دونما ، يروى منها ٤٠٪ ، على ان تزرع الاراضي المروية بالقطن والفستق وشمندر السكر والخضروات . هذا بالاضافة الى تربية الدواجن من الطيور والحيوانات . وهذه هي تملا مساحة الوحدة الزراعية في المستوطنات الجديدة .

١٢ ـ بلغ مجموع ما زرع من شمندر السكر في الزراعة العربية في عام ١٩٦٨/٦٩ ١١ الفا و ٢٠٠ دونما (بعل) وفي الزراعة اليهودية ٣٤ الفا (ري) ، في عام ١٩٧١/٧٢ ١٤٠٦ الف دونم بعل في الزراعة العربية مقابل ٤١٠٨ الف دونم (ري) في الزراعة اليهودية . لكن زراعته عادت وانخفضت في ١٩٧٣/٧٤ الى ٢٠١ الف دونم في الزراعة العربية والى ١٨٠٨ الف دونم في الزراعة اليهودية .

المزروعة خضروات وبطاطا في عام ١٩٧٣/ ٧٤ ٨٢٤٥ ألف دونم ، انتجت ٨٥ الف طن من مختلف انواع الخضروات . وبالمقابل بلغت مساحة الارض (اليهودية) المزروعة خضروات وبطاطا ١٩٥ ألف دونم ، أنتجت ٥٦٣ الف طن . أي ان الدونم الواحد خضروات في الزراعة اليهودية انتج بين ٣ ـ ٤ اضعاف ما انتجه الدونم الواحد في الزراعة العربية . فحيث يتوفر الري يمكن زراعة الارض مرتين او ثلاث مرات في السنة .

كذلك فان انتاجية الدونم الواحد من القمح والشعير وبذور نوار الشمس ... وغيرها في الزراعة اليهودية تتراوح بين ضعفي وثلاثة اضعاف انتاجيته في الزراعة العربية :

	زراعة يهودية كغم / الدونم	زراعة عربية كغم / الدونم
قمح	٣١٥	١٣٥
شعير	٢٦٥	١٢٠
نوار الشمس	١٣٠	٨٠

بنية الزراعة العربية

ولكن كيف ينعكس هذا النقص الكبير في مخصصات المياه للري على بنية الزراعة العربية من حيث أصنافها ؟ هذا هو ما يمكن ان نلمسه من الجدول رقم (١) والجدول رقم (٢) . فمن الجدول رقم (١) يتضح أن ثلثي مساحة الارض العربية المزروعة تزرع غلال ومحاصيل حقلية . وهذه زراعة لا تشترط وجود نظام واسع من الري ، اذ انها تستطيع الاعتماد بشكل او بآخر على مياه امطار الشتاء وما تختزنه التربة في فصل الشتاء من رطوبة [١٣] . ففي عام ٧٤/١٩٧٣ بلغ مجموع ما زرع منها ٦١٩ ألف دونم من أصل ٨٨٥ الف دونم ، الذي هو مجمل مساحة الارض العربية المزروعة . وقد زرعت معظمها قمحا وشعيرا .. اذ بلغت مساحة الارض المزروعة قمحا ٣٠٩٤٩ ألف دونم ، وشعيرا ٢٢٩٤١ ألف دونم . وتكاد تكون زراعة القطن والتبن المجفف معدومة كليا في الزراعة العربية ، لان هذه الزراعة تعتمد على الري أولا [١٤] وعلى المكننة في حالة القطف والثروة الحيوانية في حالة التبن المجفف .

اما اشجار الفاكهة فلم يزد ما زرع منها من الدونمات عن ١٤٠٤ بالمئة من مجموع الارض العربية المزروعة ، أي ١٣٠ الف دونم ، منها ٨٢ الف دونم زيتون و ١٦ الف دونم كروم عنب ، وهاتان زراعتان لا تعتمدان على الري .

---

١٣ ـ بلغ مجموع ما استهلكته الزراعة في عام ٧٤/١٩٧٣ من مياه مليارا و ١٦٠ مليون متر مكعب ، استهلك فرع اشجار الفاكهة منها ٤٦٠ مليون متر مكعب والغلال والمحاصيل الحقلية ٣٨٠ مليون متر مكعب . أما الخضروات فاستهلكت ١٢٠ مليون متر مكعب.

١٤ ـ بلغت مساحة الارض المزروعة قطنا في عام ٧٤/١٩٧٣ ٤٢٥ ألف دونم ، منها ٣٣٣ الف دونم ريا ، ومساحة الارض المزروعة تبنا مجففا ٤٧٣ الف دونم منها ١٧٤ الف دونم ريا .

جدول رقم ٢

بنية الزراعة العربية (١) والزراعة اليهودية في عام ٧٤/١٩٧٣ بآلاف الدونمات

غلال ومحاصيل حقلية

	قمح	شعير	السرغوم (٢)	القطاني	القطن	شمندر السكر	التبغ	نوار الشمس	تبن مجفف	سماد اخضر
زع	٣،٩٠٩	٢٢٩٠١	٥٠٢	٩٠١	٠٥	٢٠١	١،٠٥	٢،٠١	٥٠٨	—
زي	٨،٦٠٤	٤٩٠٢	٧١٠١	٨٢٠٣	٤٢٥٠٦	٢٢	٠٥	٢٨٠٧	٤٧٢٠٨	١٥٠٢

اشجار (٣) فاكهة

	حمضيات	عنب للاكل	عنب للنبيذ	موز	زيتون	لوز وجوز	تفاحيات	لوزيات	اصناف اخرى (٤)
زع	٢	١٥	١	—	٨٢	١٠	١	٦	١١
زي	٤١٣	١٧	٥٠	١٩	١٧	٧٠	٥٤	٢٩	٢٤

خضروات وبطاطا

	بندورة	خيار	جزر	فلفل وفامبا	بصل جاف	باذنجان	كوسا	ملفوف	توت ارض	بطاطا
زع	٢،٠٤٢	١٣٤٤	٠٤٩	٢٤٩	٨٠٥	٥٤٢	٢٠٦	٣	٢٤٣	٠٥
زي	٣٢	١٩	١،٠٤٣	١٢٤٦	١٩٥٧	٣١٢	٥٤٥	٤٤١	١	٥٦٤٤

المصدر : كتاب الاحصاء السنوي لعام ١٩٧٥ ، ص ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٢ .

١ زع = زراعة عربية ، زي = زراعة يهودية .

٢ ــ السرغوم هو نبات كالذرة يستخرج من بعض انواعه عصير سكري ويستخدم بعضا في انتاج المكانس والفراشي .

٣ ــ المعطيات عن اشجار الفاكهة هي لعام ٧٥/١٩٧٤ ، اما الخضروات والغلال فهي لعام ٧٤/١٩٧٣ .

٤ ــ مثل الخروب .

ويتضح من الجدول رقم (٢) ان زراعة الموز معدومة في الزراعة العربية . كما ان زراعة الحمضيات تكاد تكون معدومة .. وهي حيث تتوجد فعلى الغالب للاكتفاء الذاتي .. في حين كانت هذه الزراعة قبل عام ١٩٤٨ ١٩٤٨ تشكل احد الفروع الزراعية الاساسية في الزراعة العربية في فلسطين .. ولكن جميع البيارات العربية اما انها صودرت او انها خُرِّبت واستبدلت بزراعة أخرى .

ومع ان مساحة الارض المزروعة خضروات وبطاطا في الزراعة العربية لا تزيد عن ١٣ بالمئة من مجمل مساحة الارض العربية المزروعة الا ان نسبتها الى مجمل الاراضي المزروعة خضروات في البلاد عامة تصل الى ٢٥ بالمئة ، والى ٤٠ بالمئة من مجمل الاراضي المزروعة خضروات في الزراعة اليهودية . ومن الواضح ان لذلك أسباب عديدة ، اهمها انها تحتاج الى ايدي عاملة كثيرة ورخيصة .. ومثل هذه الايدي متوفرة في القرى العربية .. وهي لا تتطلب مكننة واسعة ورأس مال كبيرا مثل الفروع الاخرى .. ويمكن زراعة معظمها بعلا ، ولكن مرة واحدة في السنة . أما حيث يوجد ري يمكن زراعة الارض مرتين وثلاث مرات .

وتحتـــل زراعة البندورة المكان الاول في الزراعة العربية ، تليها زراعـــة الخيار فالبصل الجاف ، فالباذنجان فالفلفل فتوت الارض .

الثروة الحيوانية

ان مصير الثروة الحيوانية في الزراعـــة العربية في اسرائيل لم يكن احسن حالا من مصير الارض . ولقد الحقت سياسة الحكومة الرسمية تجاه الاهلين العرب في هـذه البلاد اضرارا كبيرة بالثروة الحيوانية في القـرى العربية .. اذ نتيجة لقيام السلطات بمصادرة القسم الاكبر من الاراضي العربية والمراعي منها بشكل خاص لم تتطور الثروة الحيوانية في القرى العربية بصورة ملموسة . ويظهر الجدول التالي حجم هذه الثروة في الاعوام ١٩٦٩ و ١٩٧٢ و ١٩٧٤ ، بالالاف :

سنة	ابقار	اغنام	ماعز ابيض	ماعز اسود	طيور
١٩٦٩	٢٧،٣	٧٩	٧،٥	١.٢	٢٥٠
١٩٧١	١٩	٨٥	٧،٥	١٠	٢٥٠
١٩٧٤	١٩	٩٤	١٠	١٠	٢٥٠

يستدل من الجدول انه في الفترة بـــين ١٩٦٩ و ١٩٧٤ انخفض عدد الابقار في الزراعة العربية من ٢٧ الفـــا الى ١٩ الفا والماعز الاسود بنسبة حادة جداً من ١.٢ الف الى ١٠ آلاف . أما عدد الاغنام فارتفع من ٧٩ الفا الى ٩٤ الفا . ومن الجدير بالذكر ان نوعية الابقار والاغنام وكذلك الماعز في الزراعة العربية لا يمكن مقارنتها مع النوعيـــة في الزراعة اليهودية من حيث انتاج الحليب واللحوم ، وذلك لاسباب عدة تتعلق بنوعية هذه الثروة وبالمراعي والتغذيـة والعناية وخبرة المشرفين عليها . ففي حين يشرف على هذه الثروة في الزراعة اليهودية رعـــاة اخصائيون والمراعي موجودة بكثرة وقريبـــة ويجري علفها جيـــدا ويتم الحلب بالالات يشرف على تربية هذه الثروة رعاة في معظمهم اولاد او اميون ، كما ان المراعي بعيدة وقليلة جدا . وفي حين تقدم السلطات كل مساعدة وتوجد كل الشروط اللازمة لتنمية تربية الطيور (للحوم والبيض) في المستوطنات اليهودية تعاني هذه الثروة من اهمال كبير في الزراعة العربية ولا تجـــد أي تشجيع من

السلطات .

مصاعب ومكاسب

لكن أزمة الزراعة العربية لا تقتصر فقط على فقدانها الارض والنقص البالغ في مخصصات المياه (انظر الجدول رقم ٣) وانعدام المراعي والشروط الملائمة لتنمية الثروة الحيوانية . ان أزمة الزراعة العربية في اسرائيل تمتد لتشمل قضايا مثل النقص في التوظيفات المالية ، لقلة مداخيل المزارعين العرب وقلة المساعدات المالية الحكومية والخاصة مثل القروض والتسليفات والهبات والسوبسيديا والتعويض في حالات الجفاف والكوارث الطبيعية الاخرى . وتشمل ، كذلك ، مجال الارشاد الفني والمكننة ومبيدات الحشرات والتمييز في الاسعار وفي التسويق.

وتشكل زراعة التبغ العربية مثالا صارخا على ازمة التسويق . فشراء التبغ تحتكره شركة « دوبك » . وهذه الشركة تحدد تصنيف التبغ على اساس الجودة ، بما يضمن لها ربحا عاليا ، وتحدد سعر المنتوج كذلك . وقد قلصت السلطات زراعته بنسبة كبيرة منذ اواسط الستينات . فانخفضت مساحة الارض (العربية) المزروعة تبغا من ٤٠ الف دونم في عام ١٩٦٦ الى ٣٢ الف دونم في عام ١٩٦٩ والى اقل من ١٠ آلاف دونم في العام الماضي . ويتهدد هذه الزراعة خطر التصفية .

وقد عانى مزارعو قرى البطوف وطمرا وعبلين وشفاعمرو في السنوات القليلة الاخيرة من مشاكل حادة في تسويق منتجاتهم من بصل (الفرانو) و (الاوري) والبندورة للصناعة . ويتعرض مزارعو الطيرة وقلنسوة وكفر قرع وبير السكة .... وغيرهم من مزارعي المثلث ، بين الحين والآخر ، لتعسف الشركات الاحتكارية ، مثل غريسكو ، التي تحتكر تسويق توت الارض والسالري في هذه القرى.

غير ان الزراعة العربية تمكنت بفضل جد المزارعين العرب وتضحياتهم من تحقيق نجاحات ومكاسب هامة . وتعود بنفع كبير على الاقتصاد ، عامة في البلاد . اذ نجحت في ادخال عدد من الزراعات المعدة للصناعة والتصدير مثل توت الارض ، حيث تنتج قريتا الطيرة وقلنسوة قرابة ٩٠ بالمئة من مجمل انتاجه في البلاد ، والسالري والبصل (للتصدير ايضا) والبندورة للصناعة . كما انها تنتج ٨٧ بالمئة من انتاج التبغ في البلاد ، مما يوفر على الدولة عملة صعبة ، و ٦٠٪ من انتاج الزيتون و ٢٠ بالمئة من انتاج الحبوب و ٩٢ بالمئة من انتاج السمسم و ٤٠ بالمئة من انتاج نوار الشمس ومثل هذه النسبة من البندورة ايضا ، و ٢٠ بالمئة من انتاج الخضروات عامة . وقد بلغت قيمة الانتاج الزراعي العربي في عام ١٩٧٣ / ٧٤ اكثر من ٣٠٠ مليون ليرة ، او ٦ بالمئة من قيمة الانتاج الزراعي في البلاد .

وتستطيع الزراعة العربية ان تسهم اسهاما جديا في تطور الزراعة عامة في البلاد ، وذلك شريطة ان توقف الحكومة ، حالا ، كل مشاريع مصادرة الارضي العربية ، ان تكن زراعية او غير زراعية ، وان تعيد الى ملكية القرى العربية والفلاحين العرب الاراضي التي صودرت ، خاصة التي لا تزال ضمن نفوذ القرية ، وان يجري اصلاح الارض الوعرة بمساعدة الهيئات والمؤسسات الرسمية المختصة وتوزيع هذه الاراضي المستصلحة على القرويين العرب ، والسماح لاصحاب الماشية باستخدام المراعي القريبة من القرى العربية والتي تحظر دائرة اراضي اسرائيل عليهم دخولها ، وشريطة ان تتوقف نهائيا كل معالم التمييز المجحف اللاحق بالزراعة العربية ، في حقل الري والتسويق وتحديد الاسعار والتسليف والارشاد الفني ... وغيره .

ويستطيع المزارعون العرب بوحدتهم

اين سخنين ، عرابة ، كفر كنه ؟
أين بحر البقر ؟
اين يا اخوتي دير ياسين او كفر قاسم ؟
اين يا اخوتي نور شمس ؟
أين يا اخوتي عين جالوت او ميسلون ؟
اين ؟
لا نسال !
اين ؟
لا نجهل !
نحن لا نجهل الفرق يا اخوتي
بين معرفة الدم ، والمعرفه
نحن لا نسال الخارطه
دمكم وحده الخارطه
ليس النقب او الجليل
دمكم شارة في الطريق الطويل !

عندما يفقد الزمن النذل اعصابه
عندما يفتح الموت أبوابه
تنتخي اختنا ، يرتخي المستحيل
ويصيح العذاب الفتي العجوز :
اعناوينها شفرة (أيها الموت خذ بيدي)
لدمي شفرة ..
فانهضوا !
حكمة الدم يا فتيتي أن يسيل !

(تنقذني من موتي البسمه
يا وطني تنقذني البسمه
حين ارى اطفالك في الساحات
شررا يحرق اعصاب الدبابات
حين ارى اطفالك
يلقون قشور الموز على الطرقات
فعسى ولعل
يتزحلق علج من جيش المحتل !)

يا له من عماس
أن تداس الشفاه التي اقسمت
انها لن تداس .

وبتضامنهم وكفاحهم احراز نجاحات جديدة ليس فقط في مجال تحسين اوضاع الزراعة العربية ، انما اولا وقبل كل شيء ، في القضاء على التفرقة القومية في الميدان الاقتصادي عامة ، وفي الميدان الزراعي بشكل خاص . وتتطلب اوضاع الزراعة العربية ، التي استعرضنا بعضها في هذه العجالة ، ان ينظم الفلاحون أنفسهم في لجان تصيغ مطالبهم العادلة والمشروعة وتدافع عن حقوقهم القومية واليومية . فكما ذكرنا ان قضية الزراعة العربية ليست قضية اقتصادية واجتماعية ، فحسب ، انما قضية وطنية من الدرجة الاولى . ومن هنا اهميتها الخاصة .

جدول رقم ٣

استهلاك المياه في الزراعة عامة وحصة الزراعة العربية منه بملايين الامتار المكعبة :

السنة	مجمل استهلاك المياه في الزراعة	في الزراعة العربية	بالمئة
١٩٦٢	١٣٧٣	١٠	٠،٧٣
١٩٦٥/١٩٦٤	١٣٢٩	١١	١،٠٢
١٩٦٧/١٩٦٦	١٤٧٤	١٤	١
١٩٦٨/١٩٦٧	١٤١١	١٥	٠،٩٩
١٩٦٩/١٩٦٨ (١)	١٥٣٧	١٧	٠،٩٨
١٩٧٠/١٩٦٩ (٢)	١٢٤٩	١٨	١،٤٤
١٩٧١/١٩٧٠	١٣١٩	٢٠	١،٥٢
١٩٧٢/١٩٧١	١٢١٠	٢١	١،٧٤
١٩٧٣/١٩٧٢	١٢٩٧	٢٣	١،٧٧

المصدر : ١ ـ معطيات الاعوام من ٦٥/١٩٦٤ حتى ٦٩/١٩٦٨ من كتاب الاحصاء السنوي لعام ١٩٧٠ .

٢ ـ وما تبقى من نشرة شعبة الشؤون العربية في المجلس الشعبي المرخاء الاجتماعي ، التي صدرت في شباط ١٩٧٦ .

احمد نـاظم

قاعدة المثلث

قصـــة

فطن الى انه ليس ضائعا كالمعتاد ، استغرب ذلك بل واحس حتى بشيء من القلق ، ان احساس الانسان لا يمكن ان يتبلد بهذه السرعة فهذه ليست الا تجربته الثالثة ، واذا كانت الامور قد سارت بسهولة فى المرتين السابقتين فلا يعني هذا انها ستسيربنفس السهولة فى هذه المرة ايضا وان الامر كان مجرد حظ فقط ، وهو يدرك الان تمام الادراك ان الحظ شيء لا يمكن الاعتماد عليه ، بل انه ليصر على انه من اكثر الامور قذارة وفوضوية فى هذه الحياة . فما معنى هذا الاطمئنان او هذه اللامبالاة اذن !

والاغرب من هذا كله ان الامر برمته يبدو الان وكانه فقد اهميته بالنسبة اليه ، انه الان لا يحس بتلك الاثارة التي كان يحسها كل مرة قبل الاقدام على العمل . ويبدو انه لن يحس ايضا هذه المرة بذلك الامتلاء الزاخر بالرضا والثقة والجنس والحب لكل الاشياء والذي كان يحسه عقب كل عمل من هذا النوع .

حتى ذكريات البارحة على عنفها لا تثير فيه الان سوى احســـاس ثمين كالذي يحسه الان فى يده اليمنى .

..... قالت امه :

ـ لماذا نحن دون غيرنـــا ! واحد فى التراب وواحدة فى السجن والثالث بينهمـــــا .

وقال واحد عن الطاولة التي عن يمينه :

ـ ميرميه من فضلك ! سكر زيادة .
كانوا ثلاثة . ملامحهم مختلفة الى حد بعيد ولكنهم مع ذلك متشابهون . والى حد بعيد ايضا .

ونظر فى ساعته بينما امه تقول بصوت مليء بالعذاب :
ـ انها خدعة ! واحد يموت ، ومئة يتزوجون !

وقام واحد من الثلاثة وتبادل عبارة غير مسموعة مع صاحبيه أتبعها باشارة فى اتجاه المرحاض الوحيد القائم فى طرف الحديقة ومضى .

ومرة اخرى نظر فى ساعته ثم الى الشارع باتجاه اليسار ولاحظ انه يجب ان يغير من وضعه قليلا ليجنب نظرته الطربوش الذي كان يحجب قطاعا منحرفا من الشارع ينتهي عند النقطة المهمة بالذات . ولكن الامر لم يكن سهلا ، فالطربوش لم يكن ثابتا على وضع واحد . كان ينحني ويستقيم ويتأرجح مع كل جملة يقولها صاحبه لزميله . ولاحظ ان الوجهين هنا ايضا متشابهان رغم الفروق الصارخة بينهما ، تماما كالوجوه الثلاثة الاخرى التي عن يمينه . وضحك من نفسه .

وقال الطربوش :

ـ لا يمكن السكوت على هذا ! يجب ان يكون هناك شيء من العدل . للاحتلال ايضا قوانين يجب ان يتقيد بها ، وقد قلت ذلك منذ البداية دون ان اخشى احدا .

وكان قطعا سيحس بالغضب لهذه التأرجحات الحمراء المتكررة ، ولكنه كان غريبا على نفسه اليوم . سحب كرسيه الى الخلف . بحيث اسندها الى جذع الشجرة الضخم ثم قرب الطاولة اليها وجلس تاركا الكرسيين الاخريين فى مكانيهما المعتاد قرب الطاولة سوى خوفه من أن يلفت ذلك نظر اولئك الذين عن يمينه او اولئك الذين عن يساره . واصبح الان فى وضع ملائم بحيث يكون من مكانه مثلثا متساوي الساقين مع الطاولتين الاخريين ، ولم تعد بهلوانيات الطربوش الاحمر تعيق مراقبته .

وقالت الطاولة اليمنى :

ـ شفيتم !

ـ عوفيتم !

وفطن الى ان يده اليمنى ليست فى مكانها الصحيح فدسها فى السرداب العميق الممتد من فتحة جيبه الى ما بين فخذيه حيث التفت هناك على ذلك الشيء الصلب المستدير كبرتقالة صغيرة .

... القت امه القميص بعنف من بين يديها دون ان تنزع منه الابرة وقالت :

ــ لو فعل واحد من كل عشرة مثلما نفعل لما كان هناك احتلال الان ، ومع ذلك فانت لا تريد ان تفهم ! لقد كنت انا التي دفعتكم الى كل هذا ولكنني احس الان انه ... يكفي ! لا اريد حتى ان ابصق مقابل لا شيء .. لقد تعلمت درسا .

وقالت الطاولة عن يساره :

ــ قلت اكثر من مرة ! يجب تقديم عريضة موقعة الى السلطات ، وتبرعت ان اقوم بتقديمها بنفسي ، فماذا يريدون مني اكثر من ذلك !

ــ نعم ! حدث ! ولكن اين تجد من يجرؤ منهم على التوقيع !

ــ يجب ان يوقعوا ! وساقول للحاكم العسكري بنفسي انه لن يكون بامكاننا تهدئة الخواطر ما لم يطلقوا سراح الموقوفات .

ــ وماذا عن التصاريح ؟

......واستمرت امه :

ــ انهم لا يكتفون بالسكوت . يطالبون بالعدالة !لا تريد ان تفهم !

وسمع صوته ايضا يقول :

ــ ك عى حق ولكن مواقفهم لا تزمني .

ــ موقفهم يلزم اللعبة باكملها ، وهذا هو اسوا ما فى الامر . اذا حاولت ان تلعب لعبتك الخاصة فسوف تصبح مجرد بطل ... ومن يريد ذلك !

ــ دعهم ينضمون اليك والا فلا فائدة من اي شيء . انها قضية اكبر من الافراد ... قضية شعب ! يجب ان يكون هناك بديل لمجرد البطولة .

انه لا يفهم .

ــ وانا ايضا لا افهم : انها المأساة الحقيقية لنا .. اكثر حتى من الاحتلال ؛ وا ا احس بهذا .

الساعة الثالثة تقريبا . انهم يمرون بمعدل مرة كل نصف ساعة تقريبا ... ولكن لا همية الملك فالمسافة بين انقطتين تكفي الكي يستعد . واذا استمرت حركة السير بهذا المعدل فسيكون عمله اسهل .

وفطن الى الطاولة التي عن يمينه وهي تقول :

ــ ... وكنت فى طريقك الى المسجد اصلاة ، وحدث ان دلقت امراة ما سائلا الى الشارع واصاب ثيابك منه شيء فكيف تفعل ؟ انك لا تعرف ماهية السائل انجاسة هو ام لا .. فهل تجدد وضوءا ام تصلي بغير ذلك ؟

ــ الامر واضح . اسال المراة !

ــ اتوضا . ماذا يقول الاستاذ ابراهيم ؟

ــ يغلب ان ما تدلقه النساء من ماء الى الشوارع يكون فيه نجاسة من براز طفل او دم حيض او ....

واحتدت الطاولة اليسرى لاول مرة :
ـ انه كذاب منافق ! لقد اخلي المستوطنون بفضل احتجاجنا فقط .
ـ سمعت انه اتصل بالملك مؤخرا .
...... وغطى صراخ امه على كل شيء :

ـ قال لي ان ابنه جاء مع زوجته ضمن الزيارات الصيفية ، وذهبا فى اليوم التالي لزيارة تل ابيب وحدث لهما الحادث فى طريق العودة . وكان يتحسر ان ابنه كان ينوي زيارة الكثير من الاماكن اثناء مدة اقامته ووعد بان يعطيني نصف عمره اذا شفيت ابنه . وتمنيت من كل قلبي أن يموت الابن ولكنه شفي وغادر المستشفى امس فى موكب مهيب .. انهم لا يموتون حتى ولو مرغمين .. وهم دائما على استعداد للاستفادة من كل شيء ... حتى من انتصارات العدو .

واحس بيده اليمنى تصبح لزجة ، فارخى قبضتها من حول ذلك الشيء الذي تمسك به وجففها بقماش جيبه . ثم عاد يستمع الى صوت امه الخافت هذه المرة ... صوت متخثر النبرات وكانه صادر عن آلة تسجيل ، بارد ولكنه مرير ومذعور :

ـ شيء لا يكاد يصدق ! يبدون وكان شيئا لم يتغير من حولهم على الاطلاق . وفاق تام مع كل شيء ... مع الواقع ومع الآتي ايا كان نوعه . الضحكات ذاتها ، التعابير المسترخية ذاتها ، العيون ، الاصوات ، الملابس ، الاحذية ، الرائحة ، الاقبال على كل شيء ، واكثر من كل شيء الفرح ... الفرح العفوي امام كل لمحة حظ تافهة ... الفرح الحقيقي الطازج امام بضعة قروش .. امام اغنية او لعبة « زهر » ... وحتى امام لا شيء ، امام مجرد غياب الالم وكانهم يخشون أن يفارقوا فرحهم . حتى زجاجات عمان الفارغة لم يفقدوا اهتمامهم بها ... زملائي الاطباء يتبادلون النكات ويتحدثون عن آخر اخبار القصور الملكية : الملك انذر امه ان تقطع علاقتها الدنسة بابنها . الاميرة فلانه اصيبت بانهيار عصبي بسبب السفير الفلاني ، عيد ميلاد الاميرة ...

وقال اليمين بخشوع :
وكنتم خير امة اخرجت للناس ، صدق الله العظيم .
ـ صدق الله العظيم .
ـ صدق الله العظيم .
... واستمرت امه :

ـ لا . شيء لا يصدق ! ليحتلوا المزيد من الارض ! وليهرق المزيد من الدماء ! نحن بحاجة لذلك اكثر من اي شيء آخر .
ومرة اخرى احتد اليسار :
ـ على الاقل لم يسوقوني كالحمار الى تل ابيب لافتتح معرضاً للرسم

التجريدي .

ـ وماذا يفهم الخصي فى مسائل التجريدي ؟

ـ وهل يأخذونه لو كان يفهم ؟

وهبت كل مشاعره دفعة واحدة ، واحس بجلده يمتلىء بشيء كالهواء الساخن حتى ليكاد ينفجر ... لقد ظهرت النقطة السوداء عند النقطة البعيدة ، وخيل اليه انهم يسمعون دقات قلبه حتى من ذلك البعد ، ماذا حدث له ؟

ومع ذلك كان كل شيء يسير كالعادة وبهدوء ظاهري تام . قام من مكانه كالآلة ، أخفى نصف جسمه وراء الجذع الضخم ، أخرج القنبلة ، حرر حلقة الامان ، ضغط الجسم المستدير بشدة ، وانتظر .

فوهة المدفع السوداء اكبر من المعتاد واقرب من المعتاد ومصوبة اليه تماما ، جلد جبهته يتقاص استعدادا لاستقبال الطلقات . لن يحس بشيء ، فقط سيموت . كل شيء حوله ثخين ، حتى الهواء أصبح كضمادات قطنية مشدودة حول جسده ... الفوهة تكبر اكثر وتقترب اكثر وتلتهم كل وجهه فيحس بأنفاسها تلفه كغمامة ساخنة ، وينتظر .

تنحسر الدائرة السوداء الكبيرة عن وجهه وتعود اليه الرؤية وتمضي العربة المصفحة تجر صوتها وراءها .

لقد انتهى كل شيء ، والقنبلة هي الآن التي تنتظر . وبرد كله فجاة ، واحس بتفتح حواسه كانسان يخرج من تحت الماء . لقد هزم .

كان يجب ان يفهم ذلك منذ البداية ، انه لم يكن خائفا لانه كان قد قرر ان ينهزم .

واستولت عليه نقمة مجنونة .

السيارة المصفحة غابت عن الانظار وتركت خلفها شيئا كالذهول يلف كل شيء .

أما الشيء الذي فى يده فقد كان لا يزال ينتظر .

وفجرته الهزيمة مرة اخرى . كيف حدث هذا ؟

وتأرجح الطربوش الاحمر عند زاوية عينه اليسرى كملاءة حمراء .

وعن اليمين قالوا :

ـ الحمد لله !

ـ وفجاة فهم كل شيء . انه لم يهزم . اللحظة لا تزال تنتظر . لم يكن الخوف هو السبب ... الرؤية فقط . لم يكن كل شيء واضحا كما هو الآن .

وتذكر رغما عنه العمود النازل من الراس على منتصف القاعدة وقذف بالقنبلة ، واستدار خفيفا ممتلئا كغمامة ملأى بالمطر .

المثلث

قصة قصيرة من ليننغراد
بقلم ـ مايا دانيني
ترجمها ـ عفيف صلاح سالم

الكيس الغامض

الشقة الجميلة المضيئة تحولت فى لحظة الى شقة مظلمة مليئة بالزجاج والشظايا .. فى لحظة تحولت الى شقة باردة مرعبة لا حياة فيها . حتى انه لا يمكنك ان تتصوري ان الشقة التي ادفأتك واسعدتك منذ لحظات تحولت الى سرداب مليء بالقمامة والزجاج والبرد .. الشقة التي لمعت بألواح الزجاج ، والتي ازهرت بالورود المتفتحة عبر الشباك ، هذه الورود الحمراء الجميلة كألسنة اللهب اختفت فجأة .. وبقي فقط السرداب حيث قدم أناس غرباء ، يتجولون هنا ـ لماذا هؤلاء الغرباء هنا ؟! لا احد يعلم من اين هم ، ولاي هدف قدموا .. ولكنهم يفترشون الارض ، المليئة بحطام الزجاج ، ليناموا ... كل هذا يجري ، وكأنك فى حلم او فى هلوسة .. انت ترين هؤلاء الناس ينامون هنا ، حتى فى فراشك ، ينامون بلا انتظام وخالتك تقول لك : « تحركي ، افسحي لهم مكانا » ... وتتحركين فاسحة لهم مكانا ، وتنامين . وعندما تستيقظين ترينهم هنا . ولكن الشباك مذبوح بالظلمة ، وهؤلاء الغرباء يعدون طعاما ما فوق موقد صغير مشتعل .

هؤلاء الناس يثيرونك فى البداية ـ لماذا هم هنا ؟! وليسوا فى بيوتهم ؟! وبالتدريج تعتادين اليهم ، حتى انك تبدأين بحبهم وتفكرين عند غيابهم ، اين هم ؟! وتتساءلين ـ اين افسيانيكوف ؟! اين البروفيسور راديونوف ؟!

وباتيكوف ؟! افسيانيكوف فى المصنع ، باتيكوف ـ وقاد . اما راديونوف فيعمل بتعبير ادق انه الآن لا يعمل كلية . انه يفرش فراشه على الارض ، وينام واضعا راسه على مخدة متدرنة ، ومن تحت المخدة يضع كيسا مليئا بشيء مـــا . . . ماذا يحوي هذا الكيس ؟!

العين الجائعة تلمح كل شيء صالح للاكل . . وتتعرف عليه حتى فى قلب الظلمة . الكيس مليء بما يؤكل . . يمكن سلقه واكله . يعرف الجميع ان لدى ايفان ميخائيلوفيتش راديونوف تحت المخدة كيسا مليئا بما هو صالح للسلق وشهي . . ولكنه لم يعرض علينا ما لديه . على العكس حاول اخفاء ما لديه ، وطوال الوقت حمل الكيس معه . . . ماذا هناك ، اتراه سكر ؟! حلوى ، ام ارز ؟! آه لو امكن تحســـه بالايدي . . ولكن ليس بامكانك اختيار اللحظة الملائمة .

وحدث مرة ان ترك ايفان ميخائيلوفيتش الكيس فى مكانه . . رايت كل هذا ، وعلمت ان الكيس بقي فى مكانه ، اما صاحبه فخرج . وفى لحظة قفزت من الفراش ، ومددت يدي الى الكيس الموضوع تحت المخـــــدة . . اخرجته وتحسسته . كان هناك شيء ما مدور واملس يمكن تحضير مرقة منه . ليس سكرا او ارزا او حلوى . من يعرف ؟ يمكن ان يكون حلوى .

كان الكيس مربوطا مرتين وموضوعا فى كيس آخر من الصعب فتحه . . ولم افعل ذلك . . كنت فقط بحاجة للمعرفة ، هكذا لنفسي بالذات حتى لا افكر بانه يخفي الحلوى ، التي كان بامكانه ان يمنحني اياها . . لاصغر الموجودين ، او لابن باتيكوف الذي ضعف كلية واصابه الوهن . كان من المحتمل ان ارفض عطاءه ، ولكن اريد ان اعرف ما هناك . . .

عاد راديونوف كانه لم يخرج الى اي مكان . . كان الكيس فى مكانه ، ولكنه فهم بانني تحسسته ، وبانني افكر بما يحويه . لقد اراد ان يقول لي شيئا ما ، وفتح فمه . . ولكن فى هذه اللحظة دخلت هينريتا ميخائيلافنا وخالتي . . تحدثتا انه من الممكن تحضير الفطـــائر بالقهوة ، فهي اشهى من القهوة ذات الرائحة التي تسبب الحرقة . . تحدثتا انه ممكن سحق حبوب البن الخضراء ومن ثم نقعها فى الماء ثم . . . .

تحدثتا بلا طعم حول امور ليست شهية بتاتا . شناعة مخيفة ومرعبة ، اسوا بكثير من الفطائر المصنوعة بزيت السمك ، او حتى من الفطائر المصنوعة من الصفير .

اقدر ان اقول انني احببت مثل هذه الفطائر ، فلها طعم الديد ، يخيـــل اليك انك تمرحين فى الحقل وصدفة تعلكين هذه الحبوب . . ولكنك عندمـــا تاكلين الفطائر بالقهوة يخيل اليك انك تبتلعين العلقم قطعة اثر اخرى ، وتتركز المرارة فى الفم .

فكرت بالكيس المخفي تحت المخدة ، وعندما خرج ايفان ميخائيلوفيتش اخبرتهما بأمر الكيس ، وقلت انني تحسسته وفهمت انه يحوي اما الحلوى او شيئا ما آخر المذا . ونظرتا الي نظرات موبخة - تحسسته ؟! أهذا مسموح ؟! ممنوع .. اعلم ان هذا ممنوع . ولكن هل مسموح ان تخفي عن الجميع شيئا ما يؤكل في الوقت الذي تأكل فيه ما هب ودب .. ونعد المرق للجميع من ماعقتي حنطة وقطعة بصل وبعض الملح . تنتظرين هذه المرقة متى يعطونك اياها .. وتفقدين صبرك ، فتسألين متى يعطونك المرق ، ولكنهم يحجبونه عنك ... ولا يجيبون .

وتلتقي نظراتهما ، ثم تنظران الي نظرات لها معنى .. سدى ألعب أمامهما دور الطفلة ، التي تنتظر المرق ، لانها تريد ان تأكل - آه ايتها الطفلة المسكينة .. كنت أفهم تنهداتهما بسببي ، فاضرم هذا التنهد لابرر تصرفي . انهما تتفهمان موقفي ولهجتي فتسامحانني .

كانت نظراتهما تتشابك لتقول احداهما للاخرى : « مسكينة هذه الطفلة الجائعة .. فالوضع بالنسبة لها اقسى ... » ، ولكن فى الحقيقة لم تكن ظروفي اقسى من ظروفهن لانني منحت سعادة العيش ، هذه السعادة التي تعيش فى داخلي رغم الجوع والبرد وما يحيط بي . منحت هذه السعادة ، بينما اقتلع من ايديهن الشيء الاخير . فهمت هذا فى الماضي بشيء من عدم الوضوح ، أما الآن فاني افهمه جيدا .. آه كم اتفهم هذه الامور الآن !!

مرت الايام ، وكيسي المليء بالحلوى لا يمنح هينريتا وخالتي وباتيكوف وافسيانيكوف النوم بهدوء . الكيس لا يمنحهم النوم - ان هذا بسببي .. فأنا التي جررتهم ، واجبرتهم على التفكير بما يحوي الكيس .. انا التي أخبرتهم بانه يجب اعطاء الحلوى للاطفال .. انا التي بنت هذه المأساة .

مرت الايام والليالي بتعاقب فى احاديث سلمية حول امور عديـدة . لم يحدث ان تطرق الحديث الى الطعام والبرد ، الحرب والقصف الجوي . كانت هذه الاحاديث ممنوعة لم يتطرق اليها أحد .. لم يتحدث احد منا حول البرد وما سيأتي به المستقبل .. فقط افسيانيكوف ، الرجل ذو القامة الطويلة ، والذي عانى من الجوع اكثر من غيره ، كان يسمح لنفسه ان يقول بصوت مأساوي :-

- رباه لماذا اسقطت القنبلة بالذات فى المطبخ ، ودمرت علبة كاملة من العدس ؟. ليست هذه بعدالة ان تحرمني وتحرمنا جميعا من علبة كاملة من العدس .

قالت هينريتا : قصاصا لك . قص علينا نكتة !

وقص افسيانيكوف علينا نكتة عن الطبيب الذي داوى صينيا من داء الصفرة ، اذ فهم اصفرار البشرة كنتيجة لمرض الصفرة .

كان افسيانيكوف قاصا بارعا للملح . فبالامور العـادية بمفارقاتهـا ، وباسلوبـه في اطـالة الجمل البسيطـة ، وبالالف والدوران يقضي على صبر السامعين . بعد ان ينال مطلبه كان يلخص النكتة بكلمة واحدة يقولها بهمس . كان الجميع ينفجرون بالضحك امـا هينريتـا فتقول : الضحك حتى الدموع كالشاي بالليمون .

ـ مدام .. ان التذكير بالشاي يفرض عليك مهمة ما ! قـال ايفـان ميخائيلوفيتش مشددا على مقاطع كلمة « مدام » . وروت هينريتا حادثة لا تخلو من روح النكتة ، حادثة طويلة مايئة بالانتقال من موضوع الى اخر ، وبالقفز من النهاية الى البداية ، واضافت : طوال الوقت كان اخوتي يقاطعونني ليرووا الاحاديث بدورهم ،ثم فعل زوجي الامر نفسـه . ولهذا حتى الان لا يمكنني الحديث بشكل طبيعي ، اذ يخيل لي ان الجميع يقاطعونني ...

كان الجميع ، في الحقيقة ، يبترون حديثها ، حتى باتيكوف الهادىء الذي ادهش الجميع مرة بنكتة عن الفرس التي اعتادت جلب الماء بدون صاحبهـا ، كيف انهى فجأة ، « واثنا ءالحريق احضرت صفيحة من الكاز بدلا من الماء » . قص هذه النكتة بمرح صارخ ، وضحك الجميـع قائلين : منذ الان ستقص نكتتين بدل واحدة ، وبالمقابل سنعطيك صحنا اخر من المرق كتعبير عن امتناننا لـك .

قص باتيكوف النكتة تلو الاخرى راجيـا : « لا تقولوا هذه الكلمـة .. نكتـة » .

لمـاذا ؟!

لاني لا أريد رواية النكت الفاضحة ..

ومن جديد ضحك الجميع لان باتيكوف يربط معنى النكتة بامور فاضحة .

كان باتيكوف اقصر انسان في الوجود . يخيل اليك انه عبارة عن حـذاء لبادي طويل وقبعة . او انه مكون من البنطال اللبادي والقبعة . كان نحيلا جدا ، ضعيفا كحذائه اللبادي ، ولكنه كان سريع الحركة ، وانشطنا . حـاول طوال الوقت مساعدة الجميع ، اما بتغطيتهم بشكل اكثر دفئا ، او حتى انه كان على استعداد ليعطي قطعة خبز من حصته للآخرين . الخبز الذي قليلا مـا كـان يتوفر ...

كان يمكن مشاركة الجميع كل شيء ، ولكن ليس قطعة الخبز ذات ال ١٥٠ غرامـا .

احب الجميع باتيكوف ، وبقدر اقل احبوا راديونوف ، امـا هينريتـا فكانت تثير الاعصاب ..

عارنا فادحٌ . حقدنا فادح . والالم
هل بكينا ؟ أجل !
غير ان دموع الغضبْ
لهجةٌ في بلاد العربْ
فاسمعي يا جميع الامم
موتنا جملةٌ كامله
فلنفك الرموز معا
ولتكن بئرنا راحة القافله
بئرنا ؟
بحةُ الموت في صوتنا
صوتنا ؟
يعلم الله يا صاحبي !
يعلم الله يا صاحبي !

بين ليلين : ليل الهلاك وليل الهلاك
تقرعُ الارض اقدامنا الحافيه
والضباعُ هنا او هناك
ترصد الخطوة الباقيه
غير ان الألم
لم يزل جاهزاً للقتال
والمطر
جاهزٌ للقتال
فاسمعي واشهدي يا جميع الأمم

(بالروح بالدم
نفديك يا وطن)

عندما اطلقوا النار صاح الشهيد :
اطلقوا النار كيف اشتهيتم
طلقة .. طلقة .. وانتهيتم .
ثم غاص الشهيد
في مطاوي جذور الجدود
واستوى في ذرى مكةٍ صائحاً :

وها أنا يا يوم القيامة عاطِبْ
يبددني وكسٌ ويجمع لازِبْ
تدثرْ اثواب الافاعي جوارحي
وينهشني همٌ من الروح ناصب

كانت أول كلماتها عندما قدمت الينا ــ « رباه ، اني فى خيبة أمل » . كان هذا الشعور مسيطرا عليها نظرا لفقدانها دبابيس الشعر أثناء القصف الجوي . كانت دائما فى مثل هذه الحالة ، وكثيرا ما أغضبت راديونوف ، الذي كان يتحاشاها فى أغلب الاحيان . وعندما كانت هينريتا تروي باسهاب حادثة ما كان راديونوف يقطب حاجبيه بالرغم من ان الجميع يقهقهون . حتى انه مرة قال :ــ

ــ انك امرأة تافهة .

قال ذلك بهدوء . وصمت الجميع . كان هذا أيضا اسلوبا ممنوعا فى التعامل . كان على الجميع الصمت ، وتمالك الاعصاب . ولكنه لم يتمالك اعصابه .

وقال افسيانيكوف ــ اننا جد آسفين . ولكن كيفما يكن الامر يجب الاعتذار لهينريتا ميخائيلافنا .

لم يضف افسيانيكوف أن هينريتا امرأة مسنة فقدت زوجها وولديها فى الجبهة ، وانها مشردة بلا حماية ، وانها بطبعها طيبة وصابرة .

وفجأة انفجرت انا التي لم تكن تحتمل هينريتا .

ــ وانت ، أنت تخفي الحلوى تحت المخدة . . . ماذا لديك فى الكيس . . حلوى ؟!

وتنهد راديونوف . وصمت طويلا ، اما هينريتا فبكت بحرقة . ونطق راديونوف : هينريتا ميخائيلافنا اقبلي اعتذاري . وبالاضافة الى ذلك اطلب منك ، بعد موتي انتسلمي فقط هذه الحلوى ــ وعندها اخرج الكيس ــ لتلميذي او لعامل المختبر ليزرعوها فى حوض خاص وبسرعة . اني اختارك وريثة لهذه الحلوى . . .

وفتح الكيس باذرا فوق كفه حبات كبيرة وجميلة من الفاصوليا .

ــ هذه بعض البذور التي تمكنت من انقاذها . . . من كل نوع هنا يوجد فقط عشر حبات . . لا تقدر بثمن . هل تفهمونني ؟ ممنوع أكل هذه البذور . . لقد اضعنا عشرين عاما للوصول الى هذا النوع . . من البذور . . من الحلوى . . كل حبة فاصوليا تحوي تلك الخصائص التي لا يمكن التوصل اليها بعد ذلك ، اذا أكلناها . . هل تفهمون ؟! انها حصيلة عمل سنوات عديدة . . . الرجاء ، اذا مت ، ان تسلموها او تزرعوها للحفاظ عليها . . . اتفهمون ؟! كتبت هنا كل شيء . . لمن تسلمونها . . وكيف تزرع . . كل شيء مدون هنا . .

طال بنا الصمت ، ونحن ننظر الى هذه البذور . ومحا النسيان كلماته القاسية . . محا كل شيء . .

لم نلاحظ كيف اغفى ايفان ميخائيلوفيتش بعد ان ربط الكيس ووضعه تحت المخدة . فجأة اغفى ، وهدأ الجميع ثم ناموا جيدا وطويلا . مدهش كيف يغالبك النوم وانت ضعيف وجائع .. الاحلام خفيفة ومتعددة الالوان كقوس قزح ، احلام شهية ولذيذة ليس بامكانك الانقطاع عنها ... كل من يرغب فى التعرف على مثل هذه السعادة الخاصة يتحتم عليه ان يجوع لخمسة او ستة ايام .. ببساطة .. ان سعادة الجائع ان ينام وينام .

عندها نام الجميع ، ولم يستعجل احدنا اليقظة . كانت اليقظة بالنسبة لنا كالعودة من الجنة الى الجحيم .

عندما استيقظ الجميع ، اذ كان يجب الذهاب الى المناوبة والحراسة والعمل او لجلب الماء ، او البحث عن الحطب التدفئة ، والعثور على شيء ما يمكن تحضيره واكله ، لم يستيقظ البروفيسور راديونوف ... لم يستيقظ بالرغم من انهم ايقظوه لشرب القهوة . لم يرغب فى النهوض ، وكأنه بعد ان اطلعنا على سره الدفين فقد قوته .

حصلت هينريتا ميخائيلافنا على بعض الادوية له ، حقنته بها ، لكنه لم يصح .. لقد استمر فى رقاده ، تحدث بهدوء وبلا ترابط . رفض جلب الماء بالرغم من ان الوقت وقت مناوبته .

لم يستيقظ بعد ذلك ، لقد مات فى غفوته . وانتقل الكيس المليء بحبات الفاصوليا الى هينريتا ميخائيلافنا . و فى الربيع مع الاشعاعات الاولى لنور الشمس بزغت الخضرة ، بالرغم من انه كان من الصعب وضع الحوض امام الكوة الصغيرة التي تسللت منها الشمس ، اذ كان الشباك مغلقا بلوح من القنير . لكنها حافظت على الفاصوليا وجمعت المحصول . وللمرة الثانية زرعت الفاصوليا ثم سلمتها الى المعهد . لم تأكل حتى حبة واحدة من الفاصوليا .

هذه الحبات العزيزة اثبتت ان الشمس والحياة موجودتان فى عالمنا ، وان الحياة ، ستكون حتما عريضة كهذه الاوراق الصغيرة التي حافظنا عليها ، وخفنا من ان تذبل . لذلك ومع كل صباح سقيناها الماء الدافيء ، ووضعناها امام النور . كان دافعنا الحماس لرؤية هذه الوريقات مخضوضرة .



● الصمود ●
للرسامة سعاد نصر – حيفا

أريه ليفين ديكر

التهديد

(ثلاثة عمال عرب من غزة ، احترقوا فى مشغل مقفل فى تل ابيب ، لان العادة جرت على اقفال المشغل من الخارج فى ساعات الليل) .

التهديد ، مثل سكين تلمع
الصرخة ، مثل صفارة الانذار
الخوف ، كالقذائف المتساقطه
والتحذير فى عنوان النار
نار العمال الذين احترقوا
الذين احترقوا ثلاثتهم
لانهم عرب من غزة ..
كأنما لا جديد تحت شمسنا
وكأنما
لا وقت للاحساس بالخطر
ولا مكان فينا لاستيعاب الصرخة
ولا رغبة لسماع القذائف
ولا جرأة فينا
لقراءة النار الساطعة
من الغزيين الثلاثة
الذين ولدوا عربا .
لو أننى آمنت بالاسطورة
أسطورة الشعب المختار
لاحترقت الاسطورة
يوم احترق العمال الثلاثة من غزة
لو أننى أوصدت نفسى طيلة حياتى
لاستوعبت أحاسيسى فى ذلك اليوم
صرخة الاحتراق
ورائحة القتار
المتصاعد من لحم الانسان المحترق .
كان ذلك كافيا لافتح عينى
ولأقرأ فى النار الساطعة ـ
هذا هو الاسلوب !

هجمـــة جـديـدة على شـــعراء الشـــعب

● تقوم السلطات الاسرائيلية وأبواق دعايتها بشن هجمة جديدة على شعراء الشعب الذين أسهموا في معركة يوم الأرض وفي مهرجانات الألوف في اول أيـار .

قبل أيـام اعتقل البوليس الشـاعر الشعبي عوني سبيت ابن اقرث المنكوبة ، المقيم حاليا في الرامة ، ثم اطلق سراحه في اليوم التالي بعد التحقيق والارهـاب .

وكانت اذاعة « صوت اسرائيل » العبرية وجريدة « معريب » وجريدة « يديعوت احرونوت » قد شنت حملة تحريض على الشاعر سميح القـاسم وقصيدته « قد نمهل ، لكن لن نهمل ! »

وفي جريدة « الأنباء » (١٠\٥\٧٦) كتب يوئيل درويش (أصبح اسمه يوئيل دار) خبراً يقول فيه « ان السلطـات تتابع باهتمـام القصـائد التي مؤخرا في بعض الصحف العربية والتي لم تخل حسب اعتقـاد المسؤولين من عبارات التحريض ضد الدولة » .

واضح ان التهديد موجه الى شعراء الشعب وقصائدهم حول يوم الأرض واول أيـار !

عندمـا يجري الصهـاينة أبحـاثهم العلميـــة !!

❊ سـارة نـابو تحمل شهادة دكتوراة وتعمل في قسم البيولوجيـا في جامعة حيفا . لا نعلم اذا كانت سارة نابو هذه قد حصلت على شهادة في دراسة علم الاعراق في المانيا ، لكننا نعلم من جريدة « هآرتس » (٦ أيـار ٧٦) انهـا أجرت بحثاً حول « جينوسات » الطائفة الاسلامية والتغيرات التناسلية فيها ، ثم حصلت هذه الدكتورة على ٣٠ الف ليرة من « الاكاديمية القومية للعلوم » لاجراء بحث حول « جينوسات » الطائفة الدرزيـة لمعرفـة الفرق بين هاتين الطـائفتين اللتين كان أهمـا « أصل مشترك في الماضي البعيد » على حد تعبير « هآرتس » .

كان اولى بأجهزة اسرائيل ان تقدم مبلغ الثلاثين الف ليرة الى اية قرية عربية لتعبيد ١٠٠ متر من طرقها (قرية البقيعة العربية الدرزية ، مثلا !) ، غير ان نوايا الصهاينة وعلمائهم لا يمكن ان تتجه للخير . وعليه نؤكد التحام بني معروف بأمتهم العربية وبجذورهم الاسلامية ، وننصح سارة نابو هذه بتوجيه « عبقريتها » العلمية لبحث العلاقة بين اليهود الشرقيين والغربيين ، ولايجاد الجواب على السؤال : من هو اليهودي !

❊ على العرب أن يسلّموا بـأنهم يعيشـــون في دولـة يهودية وصهيونية !

اسحق رابين

❊ الصهيونية تيـار رجعي للبورجوازية اليهودية !

ف. أ. لينين

لمّـــا انجن المحتلـــون !

* منذ شهور قدمت فرقـة « صندوق العجب » المقدسية مسرحيـة بعنوان « لمّـا انجنّينـا ! » تنضح مرارة وسخريـة من الاحتلال . ويبدو ان سلطات الاحتلال صابها الجنون حين علمت بهذه المسرحية فقد راحت تطارد الفرقة وتعتقل بطل المسرحية الفنان الفلسطيني مصطفى الكرد من حين لآخر كان آخرها اعتقاله لمدة ثلاثة اشهر ، اداريا !

قد تستطيع سلطات الاحتلال الاسرائيلي تشويش عمل فرقة « صندوق العجب » لفترة من الزمن ، لكن هذه السلطات أعجزمن ان تشوش سير التاريخ الى الأبـــــد !

فيما يلي ، لقطات من المسرحية الرائعة « لمّـا انجنّينـا » ، وليواصل الاحتلال جنونه .. انه يحفر قبره بظلفه !



● مشـهد عـام من المسـرحية ●



● عـادل تـرتـير وعروس المـوت ●





● فرنسوا أبو سالم يشد الحبل ! ● ● مصطفى الكرد يجنن المحتلين ●

كنا في هـذا العـدد مـع :

الجديد

شهريــة الريـــــادة الثقـــــافيــة
تـأسست فى حيفـا عـــام ١٩٥١

هيئة التحرير والادارة :
شارع الحريري ٩ ـ حيفا
ص. ب ١٠٤
ت : ٧ ـ ٥١١٢٩٦ (٠٤)
المحرر المسؤول : المحامي حنا نقارة

●

تطبع فى :
مطبعة الاتحاد التعاونية
ص. ب ١٠٤ ـ حيفا
شارع الوادي ٤٣
ت : ٥٢١٤٥٧ (٠٤)

●

الاشتراك السنوي :
فى البلاد ـ ٧٥ ليرة (بالبريد العادي)
فى الخارج ـ ١٠٠ ليرة او ما يعادلها
(بالبريد العادي)
ثمن المجلد السنوي ١٠٠ ليرة
(باستثناء نفقات الارسال)

●

هيئة التحرير غير ملزمة باعادة المواد الى اصحابها ، سواء نشرت أم لم تنشر .

●

موقع المادة من المجلة تفرضه ظروف فنية .

ملاحظة : فاتنا الاشارة الى ان لوحة الغلاف فى العدد الماضي هي للفنان عبد عابدي وتحمل اسم « العزاء » .

اعــــــلان

● تنوي ادارة « الجديد » اعداد المزيد من مجلدات المجلة ، وتنقصها لتحقيق هذه الغاية الاعداد التالية ،من السنوات الماضية :

ـ سنة ١٩٦٨ ، الاعــداد ٢ ، ٤ ، ٩، ـ ١٠
ـ سنة ١٩٦٩ ، العددان ٨ ، ١١
ـ سنة ١٩٧٠ ، الاعداد ٩ ـ ١٠ ، ١١ ـ ١٢
ـ سنة ١٩٧١ ، الاعــداد ١ ـ ٢ ، ٣ ـ ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ـ ٨ ، ٩ ـ ١٠ ، ١١ ، ١٢
ـ سنة ١٩٧٢ ، الاعــداد ٧ ـ ٨ ، ١٠ ، ١١ ـ ١٢
ـ سنة ١٩٧٣ ، العددان ١ ، ٢
ـ سنة ١٩٧٤ ، العددان ١ ، ٢ ـ سنة ١٩٧٥ ، العددان ٧ ، ٨

● نرجو تزويدنا بهذه الاعداد ،فى حالة توفرها ، من اجل استكمال المجلدات المطلوبة ، مع الشكر .

ولكن لي سراً قديماً ذخرته
يشع ، فدربٌ في الدجنات لاحب
اناقبُ فيه كل وجه نسيته
وكم شام وجهي في ثناياه ناقب
مقيمٌ على ضيم مقيم .. وانني
مقيمٌ . وطاغوت الطواغيت ذاهب
فيا قاتليَّ استكملوا كل عدة
وصولوا وجولوا واحشدوا وتكالبوا
تقمصت احوباءَ مني عوالما
اذا غاب منها نابضٌ ، عاد غائب
ويا قاتلي اليوم ، صدقٌ شهادتي
وموت المحبين المناميد كاذب
انا الحق . جلت عن نكوص مشيئتي
وها انذا قد شئتُ . والحق غالبُ !

ثم ضجت شرايينهُ
وعلى مسمع الخوذ البربريه
صاح في الساحة المركزيه :
جسدي غيمةٌ . صخرةٌ . مدرسه
جسدي الف طفل جديد .
جسدي قبلةٌ . صاغةٌ .
جسدي ارغن الموت والبعث
فلتسمعي يا جميع الامم :

اهديلٌ ؟ ام غرغراتُ دماء ؟
ام لواءٌ مصفقٌ للواء ؟
ام تراها زغرودةٌ للسرايا
اطلقتها « سكينة » من خباء ؟
لا تسل . والجواب في كل وجه
من وجوه العروبة السمراء
غمغماتٌ وجلجلاتٌ تدوّي
بين فجر كاب وليل مضاء
يقتلُ الجزرُ مدّه . ثم يعلو
الفُ مدٍّ على رقاب الفداء
انها سُنّةُ البطولات : كر
بعد فرٍّ . ومطرحٌ للرجاء
فتقرُّ القبور . لا لوقوف
وبكاء .. لكن للاستيحاء !

(يسعدني أن أعلن للعـــالم
انك يا وطني ترجيء موتي حتى ميعاد آخر
حتى يتضح الفرق الهـــائل
بين المعرفـة ومعرفـة الـدم
فلتأت شعوب الارض الي اليـوم
ولتسمع ارغن جسدي
يتفجر بالـدم الصاخب
بين الكدف الاحمر والعشب الاخضر
ولتشهد وجهي الساطع في ليـل الاعـداء
شمسا تحرق ذيل العصفوره
ناراً تاكل جـذر الاسطوره
ولتدل شعوب الارض باقوال شهادتهـا
في محكمة العـدل الدوليـه
لا في لاهاي .. ولكن في سخنين !)

آن ان يزهق البـاطل
آن ان يعـلم اللص والقـاتل
انــه لن يطول الحـوار
بين كف الشعوب ومخرز اعدائهـا
لن يطـول الحـوار
بعـد ليل قصير يطـــل النهـار
تجمع الارض اشتات سيمائهـا
ينطق الاخرس
ينهض المقعـد
تبرا الشمس من كل أوبائهـا !

عـاود الفرس والروم كراتهم
لحمنـــا نهب أنيـابهم ..
فاخرجوا من شرايينكم !
آن يـا اخوتي
آن أن تبعث الثـائر المصطفى
آن أن تشهر الثورة الرمح والمصحفا
آن ان يعـلم اللص والقـاتل
انــه زائـل

زائــل
زائــل !

● ٢ – مع الموت، شخصياً ! ●

سلّموا لي عليهْ
والثموا راحتيهْ
صار حنجرةً . جرساً . مطرقه
انظروا !
ها هي الارض يا اخوتي
باسمهِ تفتح اليوم ابوابها المغلقه !

من قديم الزمانِ التقينا به
من قديم الزمانْ انتمينا اليهْ
سلّموا لي عليهْ .
ايها الموت – قولوا له – ايها الموت يا خبزنا
ايها الموت يا كنزنا
من قديم الزمان انتمينا اليك
ما بخلتَ علينا
اياديك تلوي بأعناقنا
ووهبناك كل الذي تشتهي
ما بخلنا عليك
وانتمينا اليك !

(هل يختلط الامر علي ؟
هل يختلط الحابل بالنابل ؟
تتنافى الاقطاب
تندغم الاقطاب
توصدُ ام تنفتح من حولي الابواب
ويلمّني . اقضم شفتي
هل يختلط الامر علي ؟ !)

يومها .. اولمَ الموتْ
فاجاتهُ قبل ان يلمس الزادْ
جثتهُ محرجاً
صاح في غبطةٍ : « يا هلا !
جائعٌ انت يا صاحبي ،
والطعامُ هنا وافرٌ . يا هلا ! »

جائعاً كنتُ ، يا اخوتي ، مبتلى
واقتحمتُ الطعام . التهمتُ يدي
التهمت على عجلٍ عنقي . واكتفيتُ
جرعتُ نبيذ دمي ، وارتويت .
قلتُ : « شكراً جزيلا »
دعاني الى الوجبة القادمه .
كانت الوجبة القادمه
يوم ان أكلتُ كل أولادها القرية الظالمه !

(يتخبط في الزنزانة دوري
يرفض أن يمكث في الاسر
ويرفض أن يرحل
الزنزانة محكمة الاقفال ، يحاصرها عسكر زيوناز
صاح : « أجرني ! »
رد الباب : « أجيرك ! »
رد العشب الاخضر ، من تحت نعال الجند :
« تقتل أو تُقتل
لكن لا ترحل ! »
ردت أزهار البرية من سفح التل :
« انت القول الفصل ! »
قال : « الموتُ المر ، اذن .. »
ردت اشجار الزيتون : « بل الموت العالي !
لا باس عليك
واضرب بجناحيك
حتى لا تسقط
واضرب بجناحيك » !)

حالةُ الطقس : صوانةٌ في حساء العدو
شجرٌ زاحفٌ
حفنةٌ من تراب الوطن
في عيون العدو .
صيحةٌ شعشعت في التلال :
« رايةٌ .. أو كفن ! »
حالة الطقس : مستقبلٌ عاصفٌ
يا نسيم المساء العليل
كيف حالُ القتيل وامُ القتيل ؟
انما الوقتُ يا أخوتي غامضٌ

قــابلٌ رافضْ ..

(أنتَ تحديت استشريت سطوتْ
أنت تماديت قسوت استعديت غزوت
فاركعْ
وتصدع
نولا أوتْ
انذا صاعقــة الموتْ !)

فارس الــدمِّ والمسك والقمح والياسمين
عــاد من غربــةٍ في اقاصي السنين
سلّموا لي عليــــهْ
والثموا راحتيــــــهْ ..

كــان همهمة الناسكين
بانتظار الاعاجيب في لهفــة المحرقــه
صـــار حنجرةً . جرساً . مطرقــه
فانظروا !
ها هي الارض يــا اخوتي
باسمه ،
تفتح اليــوم ابوابهـــــا المغلقــه !

(من ديوان « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم ! » الذي يصدر قريبا)

ليف كوغان

الانسان والثقافة والحضارة

١ ـ الانسان والثقافة

ان للتركيز على اعتبار **مشكلة الثقافة احدى مشكلات القرن العشرين الاساسية**، مبرراته «التي تنطرح بشكل اسئلة عديدة»: لماذا يدرس المختصون من علماء اجتماع وفلسفة ومؤرخين وانتروبولوجيين ومؤرخي ادب وعدد كبير من اصحاب الاختصاصات المختلفة، في عصرنا بالذات، وبكثير من الاعتناء، القضايا العامة التي تتعلق بالفلسفة والثقافة؟ ولماذا برزت ولادة علم جديد أخذ يفرض نفسه في عصرنا الحالي هو **علم الثقافة**؟

علينا ان نبحث عن اسباب اهمية المبدأ الحضاري التي تزداد يوماً بعد يوم في خضم اضطرابات الحياة الاجتماعية التي يشهدها عصرنا الممتلىء ديناميكية. يتضح لنا قبل كل شيء **أن في العالم المعاصر نمطين ثقافيين مختلفين**، تجاوباً مع انظمة اجتماعية مختلفة، ونموذجين الحضارة. ثم ان **الثورة العلمية والتقنية** التي هيمنت حالياً على العالم أجمع قد وجهت انتباه الانسانية كله الى العلم والتقنية وجعلت من القرن العشرين **«قرن العلم»**. وليس مصادفة ان تدفعنا سرعة انتشار العلوم في جميع ميادين الحياة الاجتماعية الى تركيز الانتباه كله على مصير ظواهر ثقافية اخرى. **فهل تصمد الاخلاق ويصمد الفن وتصمد القيم السياسية والقانونية أمام تيار العلم المندفع؟ ام ينبغي ان تتحول**

هذه القيم ؟ وكيف يكون آنذاك التحـول ؟

وأخيراً نرى ان جماعات عديدة فى البلدان الآخذة فى النمو فى **آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية** ، قد انفتحت على النشاطات الثقافية . والشعوب التي كانت بالامس خارج اطار الحضارة تشارك اليوم ، بفعالية مضطردة فى مسيرة التطور الثقـافي .

تتعلق مشكلة الثقافة ، اكثر من اي مشكلة اجتماعية حياتيـة ، بتطور الانسان . فالانسان هو الذي يخلق جميع القيم وجميع المنافع الثقافية ، تاركاً نفسه يتكوّن بهـا وينمو . **فهو فـاعل الثقافة ومفعولها فى آن** ، **« الانسان ، الثقافة ، الحضارة »** موضوع تطرحه علاقات عصرنا الاجتماعيـة والتحولات الاجتماعية السريعة التي تميز هذه المرحلة الزمنية .

الثقافة هي حصيلة النشاط الانساني . ان جميع علماء الثقافة ، الى اي مدرسة او اتجاه انتموا ومهما اختلفت آراؤهم فى جوهر الظاهرة الثقافيـة وحول المكانة التي تحتلها فى سلم العلاقات الاجتماعية ، يؤكدون هذه البديهية . فقيم الثقافة وقوانينها ومنافعها وانظمة دلالاتها الرمزيـة تموضع مختلف نشاطات الانسان ابتداء بعملية الانتاج الآلي وانتهاء بتجليات الفكر الانساني الرفيع الذي يتميز بحرية الخلق والابـداع ، وهي البنيانات التجريدية للمنظومات الفلسفية ، وقوانين القواعد الخلقية او التاليفات السمفونية لكبار الموسيقيين . لكن ، اي نشاط من النشاطات الانسانية يمكن ان نعـده بين النشاطات الثقافية ؟ وما هي النشاطات الانسانية التي تترك اثراً ظـاهراً فى تطوير الحضارة الانسانية ؟ ان الطريقة التي سنجيب بها على هـذه الاسئلة ، هي ، حالياً ، الحد الفاصل ونقطة الانطلاق المشتركـة بين مختلف مدارس واتجاهات علم الثقافة المعـاصر .

بدهي ، كما يبدو ، اننا لا نستطيع ان ندخل فى اطار الثقافة الا نموذجا واحداً من النشاط الانساني ، هو **النشاط الابداعي . ونعني بالابداع عمليـة النشاط الانساني التي تكسر القواعـد المألوفة وجميع الكليشيهات والمبتذلات التافهة والقوالب ، والتي تولد نماذج جديدة لم تعرف بعد** . وليس باستطاعـة الانسانية ان تفرض ذاتها الا اذا رفضت عملية التقليد واحدى نتـائج الثـورة العلمية التقنية المهمة ،فى أيامنا هذه، واحدى نتائج الطابع الصناعي للانتاج المادى والفكرى هي تقعيد **NORMALISATION** الاشياء وتوحيد نمط الصناعة . فمشروع طائرة او سيارة او آلة ـ اداة ، وضع فى هدوء مكاتب البحث ، يصبح جاهزاً للانتاج فوراً ويحقق فى مئات وآلاف ، بل ملايين النسخ المتشابهة . **ان** اعادة انتاج الآثار الفريدة الفكرية ، تتيح تعريفها لملايين الناس فى جميع انحاء الارض . **ان عصر الصناعة هو عصر الاستنساخ . ففي تاريخ البشرية كلها ، لم**

يتمتع القالب او النموذج بالاهمية التي يتمتع بها اليوم . وهكـــذا تظهر أولى تناقضات الثقافة الحديثة :

أ ـ الثقافة ، في عصرنا الراهن اكثر ديناميكية وحركة وتغيراً من اي وقت مضى .

ب ـ عصرنا هو عصر التقعيد NORMALISATION والاستنساخ REPRODUCTION

ان التناقض التام ظاهر في الفرضيتين السـالفتين ، ومع ذلك فان كلتيهما صحيحتان لا ريب في صحتهما . فالانتاج المرحلي يتابع تطوره وتزداد سرعة هذا التطور اكثر فاكثر منمية بذلك نشاطات الانتاج الاستنساخي . وتزداد في الوقت نفسه النشاطات الابداعية ويتكاثر عدد النماذج الجديدة التي توضـع قيـد التصنيع ، وهكذا نرى ان وتيرة الاكتشافات العلمية تزداد سرعة وتدخل عـالم التصنيع بسرعة وفي مدة وجيزة . ولكي نتخلص من هذا التناقض الذي اشرنا اليه ، لا يعني ان علينا ان نقلل عدد النماذج الجديدة التي نريد تصنيعها وانما يعني ان ندخل عناصر النشاطات الابداعية في جميع ميادين العمــل الانساني ومن ضمنها عملية تطور الاستنساخ . وكم يبدو ساذجاً التاكيد بانـه سيكون باستطاعتنا في احد الايام ان نشهد حالة جديدة للاشياء حيث يتولد من كل فعل او عمل نموذج جديد . فالشك كبير في حصول مثل هذه الحالة . غير ان الانسان في مسيرة التصنيع المرحلي نفسه يمكنه بل ينبغي عليه ان يدخل عناصر جديدة على التكنولوجيا ، والتقنية وتنظيم العمل . فالثقافة هي النشاط الخـلاق للانسان المرتبط بفئات اجتماعية ، بجماهير ، والمتشخص في قيم مادية وفكرية معينة ، في المنافع والقواعد والمؤسسـات . **ولا يمكننا ان نحصر الثقافة في نتائج هذا النشاط وحدها ، اي في مجموع القيم المادية والفكرية ، ذلك أن الثقافة هي قبل كل شيء عملية خلق لهذه القيم ، وتوزيع واستهلاك .**

فالثقافة هي عملية تموضع الغنى الفكري للفرد ، وهي عملية تحول قواه وامكاناته الى قيم ومنافع ثقافية . وهي في الوقت نفسه عملية اللاتموضع للقيم المتراكمة عبر العصور ، وعملية تحويل هذه القيم الى ثروة روحيـــة للفرد . فالوحدة الجدلية وتداخل هذه العمليات هو ، على وجه الدقـــة ، ما نسميه بالنشاطات الثقافية .

واستيعاب او تمثل القيم الثقافية المتراكمة منذ قرون عديدة ، وكل مـا تبقى من الحضارات القديمة هو الشرط الاساسي وقاعـدة كل نشاط ابداعي للقيم الجديدة ، وهو نشاط يستلزم ، بدوره ، هذا الاستيعاب . واذا كان نتاج الابداع المادي او الفكري وقفاً على مبدعه دون ان يشارك في عملية الانتشار ، فلا يمكن تصنيفه بين الظواهر الثقافية . فنحن في مجرى نشاطنا الثقافي نرتطم اذن بهذا الانتقال المستمر من التموضع الى اللاتموضع ، او بالعكس . وحين ندرس

هذه الظاهرة ، تعترضنا حتما صعوبة اخرى هي معرفة ما اذا كانت كل اعمال الانسان الابداعية تدخل فى ميدان الثقافة . فهل يمكننا ، مثلا ، أن نحسب ما يكتبه خطاط يدعي الشاعرية حصيلة نشاط ثقافي وظاهرة ثقافية ؟ والى اي مدى يمكن ان تكون رسوم طفل ، مثلا ، ظواهر ثقافية ؟

من الواضح انه للاجابة على هذه الاسئلة علينا ان نحدد فى كل حالة ملموسة درجة التجديد ، وبعد هذا الانتاج المعطى عن القوالب السائدة . ان المبتدىء ، واستاذ الموسيقى العظيم يمكنهما ان يعزفا على البيانو مقطوعة موسيقية واحدة ، ولكن التجديد عند المبتدىء وهو يؤدي عمل المؤلف يقترب من درجة الصفر ، بينما فى الحالة الثانية نرى ان هذا العازف المستهلك سيجدد بكل تأكيد . وبالرغم من هذا فان ((**الجدة**)) لا تضمن كون أي انتاج ظاهرة ثقافية . فالمجتمع فى بعض فئاته وطبقاته ، يؤسس قيمة هذا العمل فيما يقوم بوظيفته . والممارسة الاجتماعية هي وحدها التي تسمح لنا بانتقاء النماذج الجديدة حقاً فى الابداع المادي او الفكري واهمال النماذج التقليدية والتجديدات المزيفة وكل ما يؤثر خارجياً دون محتوى حقيقي .

وهكذا فان النشاط الابداعي عند الانسان لا ينتمي كلياً الى ميدان الثقافة، فان هذا وقف على النشاط الذي يولد نماذج جديدة حقاً تثبت قيمتها الاجتماعية وتؤكدها ممارسة بعض فئات المجتمع وطبقاته .

ولا تنحصر الثقافة فى مجموعة القيم المتراكمة . ومن هنا ، كان للثقافة مظهر معياري الى جانب مظهرها القيمي . مثلا ، ثقافة السلوك ، ثقافة الحياة اليومية ، وثقافة العمل ، الخ . . . وتسهل الملاحظة ان كلمة ((**ثقافة**)) فى هذه الحالات تعني المعيار او قاعدة السلوك او المثل النموذجي فى ميدان العمل ، الخ . فنقصان الثقافة يعني عدم احترام هذه القواعد او جهلها ، مما يعيق التواصل . وبفضل هذا المظهر المعياري تكون الثقافة احد المقومات التنظيمية للحياة الاجتماعية ، فهي تملي قواعد السلوك فى المجتمع ، محددة بذلك ما تجب معرفته **وكيفية** تحقيق عملية المشاركة ، فى آن ، أعني كيف ينبغي على الانسان ان يكتسب قيم الثقافة وخيراتها الضرورية بالنسبة له .

ويتجلى المظهر المعياري للثقافة بفضل منظومة الدلالات الرمزية التي تكوّنها قواعد حسن السلوك ، ودلالات الانتباه ، الخ .

واخيراً تبدو الثقافة مستحيلة دون **مؤسسات** متخصصة توفر انتاج القيم الثقافية وتوزيعها . وبقدر ما تكون الثقافة متطورة فى بلد ما تكثر فيه هذه المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية . وبقدر ما يكون حكم الدولة ديمقراطياً تكون امكانيات المشاركة الشعبية فى تسيير هذه المؤسسات كبيرة وتصبح هذه المؤسسات فى متناول ملايين من الناس .

ان قيم الثقافة ومعاييرها ومؤسساتها تظهرها لنا فى حالتها السكونية ، ولا

تسمح لنا بالحكم على حركيتها . فانتاج القيم والخيرات الثقافية وتوزيعها ، واستهلاكها هي « درجات » فعل الثقافة . **فالثقافة اذن نظام حركي معقد يرتبط عضوياً بسائر الانظمة الاجتماعية ويخضع فى النهاية الى النظام الاقتصادي فى المجتمع المعين .**

يمكننا فى العصر الراهن ان نلاحظ اتجاهين متعارضين فى تطور النظام الثقافي الواحد :

أ ـ تمْدِية MATERIALISATION متصاعدة لثقافة .

ب ـ نمو دور المظهر الروحي فى الثقافة .

هذان الوجهان المتناقضان حقيقيان . **فالعلم** فى يومنا الحالي يزداد اقتراباً من الانتاج ويصبح أكثر فاكثر « **مخزونه الروحي** » . وعلى مفترق الانتاج والفن تشهد ولادة التصميم **DESIGN** وتطوره ، فامكانية الفن المعماري تتزايد

باستمرار وهذا ما يؤثر من قريب او بعيد على فن العمارة والبناء . كما اننا نلحظ من جهة اخرى ازدياد اهمية المعرفة العامة واهمية العمل الفكري فى الانتاج ذاته واهمية العوامل الاجتماعية ـ السيكولوجية فى تنظيم العمل ، الخ . هذا كله يتيح لنا التكلم عن **تكامل وجهي الثقافة الفكري والمادي** . ومن الواضح ايضاً اليوم أن عملية تمْدِية الثقافة هي اسرع بكثير من تطور مظهرها الروحي .

وهذا ما يبعث على التوهم أن **الثقافة المادية** تمارس نوعاً من « الكبح » على **الثقافة الروحية** . لكننا سنعود للكلام على هذه المشكلة فيما بعد .

بعد هذه اللمحة المقتضبة عن نظام الثقافة ، نعود الى السؤال الذى يهمنا وهو معرفة موقف الانسان حيال هذا النظام ، وكيف يستوعب ثقافة الماضي والحاضر . سنعرض هنا لتناقض آخر من تناقضات النظرية الثقافية .

أ ـ الانسان حر فى أن يختار ، بين القيم والخيرات الثقافية الروحية للمجتمع ، ما يرى انه يستجيب لميوله وتطلعاته .

ب ـ الانسان ليس حراً فى اختيار القيم الثقافية لان هذا الاختيار نفسه ، محدد اجتماعياً .

هنا نجد ايضاً ان الفرضيتين صحيحتان . والفكر الجدلي يجد حلا لهذه الصعوبة . فاختيار القيم الفكرية هو بكل تأكيد محدد اجتماعياً ، وهو مرتبط اولا بدرجة تطور النظام الاقتصادي ومدى تطور العلاقات الاجتماعية فى البلد المعني . وهذا ما يحدد بالضبط جدول القيم والخيرات الثقافية التي يقدمها المجتمع للفرد . فنحن نعرف مثلا ان النمو الاقتصادي والاجتماعي فى بعض

بلدان القارة الافريقية متقهقر الى درجة ان معظم سكانها محرومون من التعليم الابتدائي نفسـه .

ثم ان اختيار القيم الثقافية تفرضه ثانيا فكرتنا عن العالم واتجاه الجماعة التي ينتمي اليها الفرد . فالانسان لا يستطيع ان يعيش وان يكون حراً حيال هذا المجتمع واتجاهاته الوطنية وحيال طبقاته وجماعاته خصوصاً فيما يتعلق بالقيم الثقافية .

ونرى ثالثا ان هذا الاختيار تحتمه درجة التحضر للفرد نفسه بعلمه وثقافته الشخصية . فالقيم الثقافية التي تنطوي على معلومات معقدة وتدرجية اذا جاز التعبير ، تستعصي بكل تاكيد على انسان قليل العلم وغير مستعد لاستيعابها . اخيراً ، يحدد هذا الاختيار التطور العام للحضارة على مستوى الكون كله . فاسلافنا فى القرن التاسع عشر مثلا لم يكونوا قادرين ان يروا فيلماً ، او يصغوا الى الاذاعة ، او يمضوا وقتهم امام شاشة التلفزيون .

ومع ذلك فان طابع حتمية القيم الثقافية لا ينفي أبداً نوعاً من حرية الاختيار شريطة تفهم الطابع النسبي لا المطلق لهذه الحرية . ففي الادب ، اليوم ، نتجادل كثيراً حول امتثالية الفرد (والجماهير) حيال القيم الثقافية . ونعتقد نحن ان التناقض الذي نحلله يلقي بعض الضوء على هذه **المشكلة المعقدة جداً** . فالامتثالية ليست قط حداً من حرية الاختيار لدى الفرد ، فيما يتعلق بالقيم الثقافية لان هذا الاختيار كما اوضحنا سالفاً هو دائما محدد اجتماعيا ، وهو اذن ، اختيار محدود . ومن هنا تنشأ الامتثالية ، اي عندما يتخلى الفرد عمليا عن حرية اختياره ضمن الحدود التي تضعها له الحتمية الاجتماعية ، وفى هذا الاطار تتجلى حرية الفرد فى اختياره للقيم الثقافية :

أ ـ فى موقفه الانتقائي ، ازاء القيم والقواعد الثقافية ، المطابق لميول السيكولوجية الفردية ، وأذواقها وقوانينها وخصوصياتها .

ب ـ فى محاولة خلاقة أصيلة لتمثل القيم والقواعد الثقافية .

ج ـ فى نشاطه الابداعي الرامي الى خلق قيم ثقافية جديدة تموضع أو تجسد العالم النظري للفرد المعني .

فالامتثالية رفض واع وغالبا لا واع لكل الاحتمالات القائمة ضمن اطار حتمية الاختيار الاجتماعية للقيم الثقافية . وعملية تحقيق هذا الاختيار تفترض درساً مسبقاً لمحيط الانسان الثقافي . فالمجتمع لا يؤثر على الانسان مباشرة ولكن من خلال محيط اجتماعي وثقافي معين هو المحيط الذي يعيش فيه الفرد . وفى اطار المجتمع الواحد تختلف امكانيات التطور الثقافي عند كل فرد حسب نوعية وسطه (مركز صناعي كبير ، مدينة كبيرة أو صغيرة ، او قرية) ومكان عمله وجواره القريب ... الخ ، والمحيط الثقافي والاجتماعي ، لان وضع

الانسان الاجتماعي فى بنية المجتمع يحدد ايضا محيطه .

ولدرس هذا المحيط الثقافي ينبغي علينا ، كما ارى ، اتباع طريقين رئيسيين هما :

أ ـ تحليل عناصر الوسط الثقافي المادية (مؤسسات ومنشآت ثقافية ، الاشياء الثقافية المتداولة والتي هي بتصرف السكان ، ثقافة الانتاج ، وأخيراً ثقافة الحياة اليومية) .

ب ـ تحليل العناصر الفردية فى الوسط الثقافي ، اعني الجماعة التي ينتمي اليها الفرد ، درجة تعلمه ، مستواه الثقافي ، مقاييسه ، حاجاته واتجاهاته الخ ...

فهنالك صلة متينة بين عناصر الوسط الثقافي المادية والفردية وهي تؤثر على استيعاب الفرد لقيم وقوانين الثقافة بقدر ما تؤثر على نشاطه الابداعي الخاص فى ميدان الثقافة ، وبفضل هذا التاثير يحدد الانسان بطريقة او بأخرى موقفه حيال القيم والمعايير الثقافية . فالوسط الثقافي هو من العوامل الفاصلة التي تحدد اختيار الفرد للقيم الثقافية كما تحدد ديناميكية نشاطه الثقافي .

ودرس الوسط الثقافي يجب ان يعنى بدرس امكنة عمل الانسان بقدر ما يجب ان يعنى بمحيطه المنزلي وكلتا الدائرتين يمكنهما ان تتكاملا بكل انسجام او أن تتعارضا بكل عنف . وفى هذه الحالة يضبط التاثير المنبثق من احد الاوساط الثقافية .

كل ما قيل الى الآن يدل على ان نشاط الفرد الثقافي محدد اجتماعياً وليس فيه قط مجال للحرية المطلقة كما تعتقد بعض المدارس والاتجاهات فى علم الثقافة . وليس باستطاعتنا ان نكر فضلا عن ذلك قدراً ولو قليلا من الحرية الفردية فى اختيار القيم الثقافية واشكال النشاط الثقافي التي تتيح للفرد الانعتاق والتخلص من الامتثالية .

ويكون النمط الثقافي اقل او اكثر تقدمية بحسب امكانية الاكثرية من السكان وامكانية الشعب والعمال فى المشاركة بقيم الثقافة وغناها وبالنشاطات الابداعية التي تهدف الى خلق نماذج جديدة لهذه القيم .

ولا يتميز النمطان الثقافيان فى العالم المعاصر ، النمط الاشتراكي والنمط الراسمالي بمضمونهما فقط بل بدرجة مشاركة الجماعات الشعبية فى استيعاب هذين النمطين والابداع ضمن نطاقهما . وفى حين ان نظرية **« الثقافة الجماهيرية »** فى كل اشكالها ، تميل الى وضع مبدأ تبرره وهو ان « الانسان الجماهيري » يبقى غريباً عن ارفع منجزات الثقافة الوطنية والعالمية ؛ فان النتيجة الاساسية للثقافة الاشتراكية هي القضاء على نمط ثقافي يرتكز على النخبة .

بيد أن خطأ « الثقافة الجماهيرية » الاساسي كما يعرضها لنا اصحابها او

نقادها هو فى انها تطيل أمد الوضع الذي تبقى فيه اجمل مكتسبات الثقافة الفكرية متعذرة على القسم الاكبر من السكان .

ومن المؤكد أن مستوى التطور الثقافي عند مختلف الفئات الاجتماعية يتفاوت اليوم ايضا فى البلدان الاشتراكية . ولكن اتجاه التطور الثقافي العام فى هذه البلدان يكمن فى القضاء على عدم المساواة فى توزيع القيم الثقافية ونماذج النشاط الثقافي بين مختلف الامم والوحدات العرقية وبين مختلف الفئات الاجتماعية وبين مختلف مناطق البلد الواحد .

ان معضلة الثقافة المصرية فى العالم المعاصر هي التالية : اتبقى الثقافة « العالية » والاصيلة وقفاً على النخبة ام تصبح بمتناول افراد المجتمع جميعهم ؟ فالثقافة اكثر من اي ميدان آخر للفاعلية الاجتماعية تتيح للفرد ان ينفتح ويحقق امكاناته الابداعية وهذا ما يضفي على الثقافة قيمتها الانسانية الكبيرة ولكن درجة تجلي هذه القيمة الانسانية مرتبطة بنمط معين من الحضارة .

٢ ـ الثقافة والحضارة

تستعمل لفظة ((**حضارة**)) بمعان عديدة ، ففي مدلولها العام هي **ما يناقض الحالة الوحشية البدائية** وبالتالي تفترض الحضارة مستوى من التطور الاقتصادي والثقافي . وفى احد معانيها الحصرية والخاصة تعتبر الحضارة غالباً **كنمط معين للحياة الروحية** ، او بشكل اخص ايضا ، **كنمط من الثقافة** . وفى هذا المعنى بالضبط يستعملها **ارنولد توينبي** ويحذو حذوه كثير من علماء الثقافة .

وفى راينا ان هذا التحديد ليس دقيقاً ، فالحضارة لا يمكن ان تحصر بنمط ثقافي ظهر فى مجرى التاريخ . فمفهوم الحضارة ينطوي ، منذ القدم ، وبمقتضى التقليد الفلسفي على نمط معين لمنهج اقتصادي يكون قاعدة للثقافة التي توازيه ، **وبهذا المعنى يكون مفهوم الحضارة أوسع من مفهوم الثقافة** .

ويمكننا ان ننظر الى الثقافة عمودياً (تاريخياً) وافقياً ، **فالثقافة المعاصرة تشمل ، جوهرياً ، كل تاريخ الانسانية فى تطوره الثقافي** .

لم تنته « مرحلة » ثقافية واحدة من التاريخ دون أن تترك وراءها أثرا . وكل نمط جديد ثقافي ينطوي على كل ما كان قيماً فى المرحلة التاريخية التي سبقته . من هنا كانت عمودية الثقافة دراسة لهذا الثقافة منذ نشأتها وفى امتدادها التاريخي . وهي درس تكون الثقافة المعاصرة .

أما « افقية » الثقافة فهي تحليل لوضع هذه الثقافة الحالي وتحليل

لمختلف الانماط الثقافية الموجودة حاليا . فى عالم اليوم . والحضـــارة حسب راينا هي نمط ثقافي يحدده بلد معين ومرحلة تاريخية معينة . فالحضارة هي اذن تركيز التطور التاريخي ـ الثقافي فى المكان والزمان . فثقافة عصر العبودية مثلا والثقافة القديمة اخذت شكل حضارة اليونان والرومان وهاتان الحضارتان تتميزان اجمالا الواحدة عن الاخرى . وفى هذا المعنى يتسع مفهوم النمط الثقافي اكثر من مفهوم الحضارة لان النمط الثقافي الواحد يمكنه ان يشتمل على عدة حضارات مختلفة . واخيرا يمكن أن تتعايش فى اطار حضارة واحدة ، ثقافات روحية متعددة ، تعكس مصالح واوضاع فئات اجتماعية متعارضة ضمن مجتمع واحد او بلد واحـد .

كل حضارة هي تاريخيا واقعية وتمتد فى مرحلة زمنية محددة . وهكذا يمكن ان تتوالى عدة حضارات فى اطار نظام اقتصادي ـ اجتماعي واحد تبعـا لتقدم العلم والتقنية . لذلك يستحيل على اي كان التاكيد ان حضارة بريطانيا العظمى هي الحضارة ذاتها التي كانت منذ مئة عام بالرغم من ان نظـام هـذا البلد الاجتماعي ـ الاقتصادي بقي كما كان . فالحضارة تأخذ طابعها من ثقافتي المجتمع المادية والروحية ، معا .

الحضارة تبعيـة لان نماذج التقنية والعلم والفن التي يخلقهـا بلـد من البلدان سرعان ما تصبح ملكا للعالم اجمع بفضل وسائل الاتصال العصريـة . ولنعط مثالا على ذلك التلفزيون وسرعة الانتشار الذي عرفه بعد الحرب العالمية مع ظهور انواع من التلفزيونات القارية وعبر القارية . ومن السذاجة ان نعتقـد اليوم ان اي اكتشاف جديد فى ميدان الثقافة يمكن ان يستأثر به بلد دون غيره .

فالحضارة هي نظام منفتح وتبعي ، وهي فى الوقت نفسه مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنظام الاجتماعي ـ الاقتصادي فى البلد المعني كما انها مرتبطة بمميزاته الثقافية . ولا توجد قط اليوم ثقافة خارج الخصوصية القومية وفى هذا المعنى تأخذ الحضارة حدودا وطنية وتؤلف بذلك نظاما مغلقـا مستقلا . ولكننـــا نصادف هذه المرة ايضا التناقض التالي :

أ ـ الحضارة عالمية وتبعية .

ب ـ الحضارة قومية ومستقلة .

وحل هذه المعضلة هو ان الحضـــارة العـالمية (فيما يختص بمستوى التطور الاقتصادي والثقافي الذي حققته على الكرة الارضية ككل) لا وجـود لها الا بشكل مجموع حضارات قومية . فكل شعب يطور حضارته القومية يقدم مساعدة للتطور الحضاري العالمي ولهذا فان شكل التطور الحضاري العالمي لا يتم ولا يستمر الا باشكال قومية .

وهذا التحليل الذي قدمناه يستدعي خلاصة كبيرة الاهمية وهي ان تطور الحضارة غير قياسي .

او قام **فيلياس فوغ** بالرحلة التي يصفها **جول فيرن « ثمانين يوما حول العالم »** لكان يصادف انماطا متعددة ومختلفة من الحضارات . ومن المستحسن ان نميز الخصائص الوطنية في كل حضارة (بما فيها خصائص الحضارات التي لها نمط واحد) وخصائص مختلف انماط الحضارة لانه يتراءى لنا النمط الحضاري تابع :

اولا ، لطابع ولمستوى التطور الاقتصادي ؛ وثانيا ، للنظام الاجتماعي والاقتصادي . ولهذا السبب نلاحظ ان حضارتي فرنسا والولايات المتحدة هما من نمط واحد بينما يختلف نمط الحضارة البلغارية عن نمط حضارة الولايات المتحدة .

وهكذا نعتبر ان النمط الحضاري لا يمكن ان يحدد الا بعد الاخذ بعين الاعتبار كل العلاقات الاجتماعية ـ الاقتصادية المهيمنة في وقت من الاوقات . ولكن هنالك بالتاكيد تبادل مستمر للقيم الثقافية وتفاعل ثقافي بين حضارات مختلفة الانماط . لكن من المستحيل ان يكون هنالك انصهار وتلاق في نمط حضاري واحد . فهذه هي قوانين التطور الموضوعية في العالم الحالي وهذه القوانين لا نستطيع جهلها ، لذلك لا نستطيع ان نقبل الافكار الرائجة في عالم الثقافة المعاصر عن **« الحضارة الصناعية الواحدة »** او **« حضارة المجتمع الصناعي »** . وبالرغم من ان هنالك نقاطا مشتركة عديدة بين تطور العلم والتقنية فان هنالك اختلافا ظاهرا مهما كان التشابه بين مظهر الثقافة المادي وجوهر الثقافة الفكرية في هذه البلدان وهذا ما يحول دون القول بنمط حضاري موحد .

ويبرز في الفترة الحالية لتطور الحضارة اتجاهان يردان على مظهري التناقض المشار اليهما سابقا . فمن جهة اخرى اولى نرى ان التباعد بين انماط الحضارة المختلفة يتقلص . ولئن كانت هنالك قارات غير متحضرة في بداية القرن العشرين تعيش حالات بدائية وليس لاغلبية سكانها ثقافة وطنية ، فكثير من شعوب هذه القارات لهم اليوم لغتهم المدونة وحضارتهم تتطور بسرعة مدهشة ، واكثر ما يظهر ذلك في **الاتحاد السوفييتي** حيث اكتسبت عشرات الشعوب في العشرينيات الاخيرة لغة مكتوبة وابتدعت ادبا وكونت انتيلجنسيا قومية . فالشعوب التي كانت بعيدة عن التقدم بشكل او بآخر تسهم اليوم بالتقدم الثقافي في البلاد كلها . فشعب **المانسي** مثلا ، وهو شعب صغير يتكلم الفنلندية ـ الاوغريانية ، ويقطن في اقصى شمال **الاورال وسيبريا الغربية** ، لم تكن له لغة مكتوبة قبل سنة ١٩١٧ وكان يجهل الالفباء جهلا كليا . اما اليوم فلم يعد هنالك امي واحد في هذا الشعب .

(البقيــــة على ص ٧٩)

عز الدين المناصرة

جفـــرا
أرسلت لى دالية
وحجارة كريمة

- ١ -

من لم يعشق ((جفرا)) .. فليشنق نفسه .
من لم يعرف ((جفرا)) .. فليدفن رأسه .
من لم يقذف طلقته من اجلك يا جفرا
فليشرب كأس السم الأحمر ، يذوي
يهوي ... ويموت .
جفرا ... جاءت لزيارة بيروت .
هل قتلوا جفرا عند الحاجز ... هل وضعوها
في التابوت ؟؟؟.
من لم يعرف ((جفرا)) ... ترفل بالزيتون ،
العنب الياقوت .
من لم يعرف ((جفرا)) منذ العثمانيين ...
تقاتل بالنبوت .
من لم يعرف ((جفرا)) تطعم زغبا اوراق ...
التوت .

من لم يعرف ((جفرا)) .. لا تعرف معنى القوت .
من لم يعرف جفرا ... فليدفن راسه .
من لم يعرف جفرا ... فليدفن نفسه .

- ٢ -

تتصاعد اغنيتي عبر سهوب زرقاء ... وكان جراد ..
الأيام الآتية يزحف نحو الأخضر ، كدت اقول :
تتشابه أيام المنفى ، كدت أقول :
تتشابه غابات القتل هنا وهناك
تتصاعد أغنيتي خضراء وحمراء ، الاخضر يولد
من دمع الشهداء على الاحياء ، الواحة تولد من
نزف الجرحى ، الفجر من الصبح اذا شهقت حبات
ندى الصبح ، افتتح الاخضر نافذة في وجه المجهول .
ترسلني ((جفرا)) للموت ... ومن اجلك يا جفرا ،
تتصاعد أغنيتي ويهون الموت ... وأغنيتي :
يا جفرا اين ستاخذني عيناك من الاحراش ...
الى الوادي من مدن الذبح الى بيروت .

يا ((جفرا)) من أجل رسائلك البيضاء القلب ...
ومن أجل دواليك ، حجارة واديك ، السيل ...
يثور ونرمي انفسنا للموت ، الاشباح تموت .
منديلك في جيبي ، لم أرفع سارية الا قلت فدى
((جفرا)) ، ترفع القامات من الاشجار من الاضرحة
وكدت أقول .

زمن مر ، جفرا كل مناديلك قبل الموت تجيء .
في بيروت الموت صلاة دائمة ، والقتل جريدتهم ،
قهوتهم ، والقتل شراب لياليهم .
والقتل اذا جف الكأس مغنيهم .
واذا ذبحوا سموا باسمك يا بيروت .

هل كانت بيروت عروسا ، هل كانت
عادلة ، وهل الان جحيمك صوتك ..
هل كنت ملاذا وهل الان تكونين .
ساعوذ بعمال التبغ الجبلي ، أعوذ بقلعة ((صيدا))
بالبحر النازف سمكا مسكونا بالاوباء .
ما كانت بيروت وليست في هذي اللحظة بيروت .
ان هي الا وجع التبغ ، صلاة الاخضر ، أجساد
المذبوحين اذا صاحوا : في الصبح نفير على الاعداء .

ان هي الا همهمة الصيادين اذا غضب البحر ...
عليهم ، ان هي الا جسد ابراهيم المتناثر فوق
الخبز امام الفرن صباحا ، ان هي الا ...
ابناؤك يا جفرا يتعاطون حنينا للدالية الخضراء
والجبل الاخضر ، للنعنع ينبت في أحجارك ،
للخيل ، لباب القدس وأسوار القدس ...
وأسواق القدس وآثار الاجداد .
ولربع درس يمر البوليس عليه صباحا ومساء .
ما كانت بيروت وليست ، لكن تتوافد فيها الاضداد ،
تصارع حتى تولد من غضب الصيادين حدائق ،
تزحف حوريات الماء وتهترىء الاصفاد .
والقاتل بالطلقة والكره يموت .
حينئذ ، تصبح ... بيروت .

- ٣ -

للأشجار العاشقة أغني
للأرصفة الصلبة ، للحب اغني
الطلقة في صدر الفاشيست اغني
السيدة الحاملة الاسرار الثورية ...
تركض عبر الجسر الممنوع علينا ، تحمل
أشواق المنفيين الى شجر الزيتون اغني
لرفاق لي في السجن أغني
لرفاق لي في القبر اغني
للعاصفة الحمراء أغني
للولد الاندلسي المقتول على
النبع الريفي أغني
للنعنع في حقل أعشقه رغم القتل
المتواصل في المنفى سأغني
ولجفرا المخطوفة عند الحاجز ،
كانت تبكي أحيانا وتصلي أحيانا لاله
الثورة ، تنفجر ، تمزق اعينهم ، تغرز اظفرها .
تخرج قهقهة الضابط تتحدى .
هل قتلوا « جفرا » ... كانت صورة « لينين »
على حائط غرفتها في باب « الساهرة » الليلة جئنا
لننام هنا سيدتي ، يا أم الاشجار وأم الانهار
وأم العنب وأم اللوز وأم المرج الاخضر .. هل

قتلوا « جفرا » .
الليلة جئنا لننام هنا سيدتي جئنا لنغني .
لشوارع « صبرا » .. سأغني
للشعر المكتوب على ارصفة « الشياح » .. اغني
ولبيروت الطلقة سأغني
للعمال المطرودين .. أغني

ولجفرا .. سأغني
« جفرا » ... لم تنزل وادي « البادان » ...
ولم تركض فى وادي شعيب .
وضفائر « جفرا » قصوها عند الحاجز ...
كانت حين تزور الماء .

يعشقها الماء وتهتز زهور النرجس حول الاثداء .
« جفرا » أمي ــ ان غابت أمي ــ جفرا الوطن المسبي ..
الزهرة ، والطلقة والعاصفة الحمراء .
جفرا ــ ان لم يعرف من لم يعرف ــ غابة زيتون ،
ورفيف حمام وقصائد للفقراء .

جفرا ــ من لم يعشق جفرا فليدفن رأسا فى الرمضاء
أرخيت سهامي قلت يموت القاتل ، من لم
يقتل وجه الغول الاصفر تبلعه الصحراء .
جفرا .. كانت فى قصر الاقطاعي تنوح .

جفرا ... كانت فى الجبهة تحمل طلقتها وتبوح
بالسر المدفون على شاطىء « عكا » وتغني .
وأنا لعيونك يا « جفرا » .. سأغني .
كانت ... والان تعلق فوق الصدر مناجل للزرع وفوق
النهد نباتات برية .

النهد على النهد .. الزهرة تحكي للنحلة ، الماعز سمراء ،
الوعل بلون البحر ، الغابة مثل عيونك يا جفرا .
وهناك بقايا الرومان : السلسلة على شكل صليب ،
هل عرفوا شجر الشوك ، ... حقول الذرة حنيني
للبئر وللدوري المستانس بالاهل وقلبي مدفون ...
تحت شجيرة برقوق .

قلبي تنقذه الطلقة ، غمغمة الشجر الصيفي اذا
هبت ريح قرب القيسوم ، الشيخ البري ...
وقلبي فى شارع سرو مصفوف ، قلبي
فى المدرسة وفى النادي فى الظل الاسمر فى

الشارع في السوق .
جفرا ، اذكرها في الوادي تحمل جرتها ، اذكرها
تطلع في الباص واذكرها ترعى الماعز ، آه الماعز
اسمر بين زهيرات الوديان ثغاء يملأ قلبي الان
هنا في المنفى عشقا للموت المقبل ، أقبل نحو الموت ،
كمائنهم تبعد امتارا والقلب مشوق .
من لم يعرف « جفرا » ... فليشنق فرحته
في بار شتوي . القاتل وعدي والرعديد ...
المشنوق .
من لم ينقذ جفرا فليدفن نفسه .
من لم يحمل طلقته ويدافع عن جفرا
فليدفن رأسه .
من يشرب قهوته في الفجر وينسى جفرا
فليدفن نفسه .
جفرا كانت تبكي في « الكرمل » تبكي
في بيروت .
و « ابو الليل » الاخضر من اجلك يا جفرا
يقذف طلقته ... ويموت .

كاتب ياسين ـ أسير اللغة الفرنسية

العائد الى الام العربية !

ولد كاتب ياسين عام ١٩٢٩ . تلقى علومه الابتدائية فى كتاب عربى ثم التحق بمدرسة فرنسية ، لكنه فصل منها وهو فى الخامسة عشرة من العمر لاشتراكه فى التظاهرات الجبارة التى شهدتها الجزائر عام ١٩٤٥ ضد الاستعمار الفرنسى ، واستشهد فى تلك التظاهرات حوالى ٤٥٠٠٠ جزائرى .

عام ١٩٤٦ صدرت له مجموعة شعرية بعنوان «نجوى» . غير ان شهرته بدأت مع صدور مسرحية « الجثة المطوقة » عام ١٩٥٥ ، وفى تلك الفترة التقى كاتب ياسين بالاديب الالمانى الشيوعى الكبير برتولد بريخت ، واستفاد من تجربته فائدة كبيرة .

لقد أحب كاتب ياسين شعبه ووطنه حبا عميقا قاده فى نهاية المطاف الى الحزب الشيوعى ، وهو يرى أن «على الشاعر والكاتب والمثقف أن ينخرط فى الحياة السياسية التى يملؤها الشعب . كما أن على الكاتب أن يمتلك علاقات صحيحة بالشعب ، وهذا يتحقق بالتزام الكاتب فى تنظيم ، أى فى حزب» (من حديث له مع الناقد المسرحى والسينمائى السورى سعيد مراد ، أجراه فى موسكو) .

التقيت بكاتب ياسين قبل حوالى خمس سنوات ، فى ضيافة اتحاد الكتاب السوفييت ، وفى اطار احد مؤتمراتهم . كان هناك مئات من ادباء العالم وأدباء الوطن العربى غير أن الفة وتفاهما متميزين نشأا بيننا بالذات ، بين ابن الشعب الجزائرى وابن الشعب الفلسطينى ، وأذكر أن أحاديثنا كانت مفعمة بحرارة مأساوية خاصة . قرأ لى كاتب ياسين فصلا من مسرحية جديدة باللغة الفرنسية . لا اعرف من الفرنسية سوى القليل القليل مما رسخ فى الذاكرة من أيام الدراسة البعيدة ، لكننى فهمت ما قرأه على كاتب .. على الاصح ، أحسست بذلك وانفعلت به .. انه يكتب عن قضيتنا المشتركة ، القضية الفلسطينية !

ويومها ، بدا لى كاتب «معقدا» بالانفصام ، من جراء الغربة التى يعيشها .. الغربة بين لغته الفرنسية واحساسه العربى . وكم كان كاتب ياسين سعيدا وفخورا حين « نجح » فى كتابة اسمه بالعربية على كتاب ما زلت أحتفظ به الى اليوم .

فى الآونة الاخيرة قرأت حديثا صحفيا مع كاتب ، أسعدنى جدا ، فقد وجد كما يبدو منفذا للخلاص من عقدة الاغتراب اللغوى . انه يقول فى ذلك الحديث : « قالوا عنى بأنى اذا ما خرجت من محيط اللغة الفرنسية ، فاننى سأموت وانتهى ككاتب . وها أنذا خرجت من محيط اللغة الفرنسية وكتبت بلغة الشعب ، باللغة العربية الدارجة ، وقدمت مع فرقتى ، ولمدة تزيد عن الثلاث سنوات ، مئات العروض لاكثر من ٤٥٠٠٠ متفرج ، كلهم من العمال ! »

ألا ترون الدلالة الهائلة فى هذا الرقم (٤٥٠٠٠) ؟ الذى هو عدد شهداء الجزائر الحبيبة عام ١٩٤٥ ، وعدد العمال الجزائريين الذين شاهدوا مسرحية كاتب ياسين باللغة العربية ؟؟

فيما يلى نقدم للقراء احدى مسرحيات كاتب ياسين . ليست هذه من أحسن مسرحياته ، ولا هى من أحدثها . والحقيقة ، اننا نقدمها لانه لا يتوفر بين أيدينا اليوم ، سواها . لكنها على أية حال تعطى فكرة ما عن ابداع هذا الكاتب العربى الملهم الذى استطاع أن يفرض حضوره الادبى الحار ، على فرنسا ، على الوطن العربى وعلى العالم .

سميح القاسم



كاتب ياسين

العود والحقيبة
(مسرحية)

١

نجمة : **اذهب لتحضر ماء .**

(يبتعد علي نحو البئر ، وفي يده دلو . يرى القمر البدر فوق رأسه .)

علي (منحنياً فوق حافة البئر) : **يا الهي، القمر في البئر ! لا شك انه زلق.**

لكنه لم يمت . ما يزال يلمع . سانتشله .

(يدير الخنزيرة مرارا دون فائدة .)

نجمة : **علي !**

علي (شادا على الحبل) : **ما كنت أظن القمر بهذا الثقل .**

(ينفك الدلو . يقع علي الى الوراء والحبل في يده ، فيتأمل السماء ، وهو مبطوح على ظهره ، ويتهم القمر ، هذا الجاحد : يحسب علي أنه انقذ القمر .)

علي : **ايها القمر ، لقد خدعتني**
انتشلتك من البئر
وها انت تهرب !
كما لو أنك لاتعرفني .

نجمة : **علي !**

علي (للقمر) : **من أجلك انفكّ داوي ،**

نسيت أمي ، وأدق عنقي ،
وفوق هذا تسخر مني !
اذاً ، الوداع . (يمر وقت .)
ما العمل الآن لسحب الدلو ؟
(يعود الى البئر وينحني من جديد .)

حسناً ! ها أنت مرة اخرى
تقع في المـاء
لكثرة ما لعبت لعبة الارجوحة ، فوق
في قصرك ، قصر الساحر .

لكن هذه المرة لا تتكل عليّ .
اسبح أو اهلك
يا كعكة الشمع القذرة !
(على حدة) **في الحقيقة**
يستحق الموت .
(تدخل نجمة ، غاضبة .)

نجمـة : **اهكذا تطيعني ؟**
علي (راداً ضربة موجهة الى راسه) : **لست أنا ، انه القمر .**
نجمـة (تغادر المسرح) : **مثل أبيه .**
انه مثل أبيـه .
يسكنه روح شرير .
(بعد ذهاب أمه يعود الى البئر ويصمم على رجم القمر .)
عـلى : **هيا ، خذ هذا ! وهذا !**
عبثاً تخفق
فلن تفلت مني .

(تمر غيمة . اختفى القمر .)
عـلي (لاهثا) : **وأخيرا ، أصبته .**
ها انا مطمئن الآن .

أمي بعيدة ، وعندي هنا خذروف
يقصف كطـائرة .
(يسحب من جيبه خذروفا . من اول دفعة يكرج ، ضائعا ، وراء الكواليس .)

علي (باحثا) : **أين هو ؟**
أين يمكن أن يكون خذروفي ؟

(تنقضي الغيمة ، ويعود القمر يضيء المسرح ، بينما يتأمل علي ، مصعوقا ، الكوكب الذي ظن انه قتله .)

علي : **كيف ؟ لم يمت ؟**
ربما كان هذا شقيقه .
(تدخل نجمة) .

نجمة : **ماذا تفعل هنا ؟**

علي : **اضعت خذروفي .**

نجمة : **اين ؟**

علي (مشيرا الى الكواليس) : **من هنا .**

نجمة : **وتبحث عنه هنا !**

علي : **لان هناك مظلم**
بينما هنا مضاء !

نجمة (على حدة) : **لقد آن ارساله الى المدرسة .**

٢

(يدخل الطالب ، وفي يده مقرعة ، يلحق به ثلاثة تلامذة ، هم المنحوس ، الخابط الليلي ، والطقس الرديء . يرددون معا درس الطالب .)

الطالب : **أترون هذه العصا ؟**
انها آتية من الفردوس .
وكلما ضَرَبْتكم
فانما لخيركم .

الجوقة : **نرى هذه العصا**
انها آتية من الفردوس .
وكلما ضَرَبَتنا
فانما لخيرنا .

الطالب : **والآن ، اسالوني .**
ما هو الفردوس ؟

الجوقة : **ما هو الفردوس ؟**

الطالب : **الفردوس بلد**
انهار ، وحدائق
وازهار دائمة الفوح .

الجوقة : **الفردوس بلد**

انهـار ، وحدائق
وازهار دائمة الفوح .

الطالب : **وما هي الجحيم ؟**
الجوقة : **وما هي الجحيم ؟**
الطالب : **الجحيم هاوية**
جمر ، ولهب ودخان
يدحرج الله اليهـا
جميع الخلائق المطرودة من الفردوس

الجوقة : **الجحيم هاويـة**
جمر ، ولهب ودخان
يدحرج الله اليهـا
جميع الخلائق المطرودة من الفردوس
الطالب : **أعيدوا الدرس كله**

الجوقة (مجتهدة) : **الجحيم ... الفردوس**
الجحيم ... الفردوس ... الجحيم ... الفردوس .
(يلعب الطالب بالهراوة على ايدي التلاميذ الاربعة وارجلهم ، وهو ساهم وغامض ، والتلاميذ يواصلون الغمغمة .)

الطالب : **ستتعلمون غيبا**
درس اليوم .
أنا مضطر الى الخروج لحظة .
عند عودتي ، سأطلب منكم
أن تسمعوا دون غلط .
دون أدنى غلط ، مفهوم ؟
الجوقة : **مفهوم .**
(يغادر الطالب المسرح ، تاركا مقرعته .)

الخابط الليلي (بعد مرور وقت) : **برد ! برد .**
المنحوس : **انطفأت النار .**
الطقس الرديء (مشعلا عود ثقاب) : **يلزمنا بعض الحطب .**

علي : **خذ ، هذه عصا الاستاذ .**
(يتناول علي المقرعة ويرميها في الموقد . يتدفأون . يدخل الطالب .)

الطالب : **أهكذا أعود فأجدكم !**
الجوقة : **كنا نتعلم درسنا .**

الطالب : **بحرق مقرعتي !**
المنحوس : **كنا بردانين .**
علي : **كان هذا تمرينا .**
الطالب : **اقترب قليلا . لا اسمعك جيدا .**
علي : **قلت لنا ، يا استاذ ، ان العصا آتية من الفردوس .**
الطالب : **حسنا . ثم ؟**
علي : **ثم قلت لنا ان المطرود من الفردوس يذهب الى الجحيم .**
الطالب : **يعني ؟**
علي : **كل ما فعلت انني اعدت العصا الى مكانها !**
الطالب : **بالقائها في النار !**
علي : **لقد خَرَجَتْ من الفردوس ، ومن العدل ان تذهب رأسا الى الجحيم .**
الطالب : **اخرج من هنا !**

علي (آخذا بالنطنطة والدوران حول نفسه) : **طردت من فردوس محض قرآني**
انني ، للاسف ، فريسة
فرح جهنمي
للاسف ، للاسف ، للاسف !

الجوقة : **نحن ايضا ، يا أستاذ ،**
مذنبون !

الطالب (متضايقا) : **اذهبوا عني ، اخرجوا جميعا !**
(الاربعة المطرودون يخرجون وهم يطلقون صيحات الفرح .)

٣

(علي ، وحده . تدخل نجمة .)

نجمة : **الطالب لم يعد يريدك .**
سارسلك اذن الى المدرسة الفرنسية .

لكن حذار !
اذا طردوك هذه المرة ،
لن تعود الى البيت .

(علي يبتعد . يمر وقت . مشهد خروج مصطنع . يرجع علي الى المسرح حاملا اغراضه .)

نجمة : تعال ، احك لي .
هل تفضل المدرسة الفرنسية ؟

علي : لا اعرف .
نجمة : ماذا فعلتم اليوم ؟
علي : أنشدنا ((المرسيلياز)) .

نجمة : ثم ؟

. . . .

. . . .

علي : انه قانون جديد
اذا كان زر التلميذ مفكوكا
يبقى ثمانية ايام
خارج المدرسة .

نجمة (ممسكة فرشاة) اذن ، ستكون نظيفا .
هيا الى الحمام .
(يخرجان . علي يحتج . يسمع وهو يصرخ وراء الكواليس .)

٤

(الجوقة تحتل المسرح بكثافتها . انه يوم السوق .)

الجوقة : لا شيء للبيع .
رئيس الجوقة : وكيف نشتري ؟
الجوقة : لا مال .
رئيس الجوقة : لا تجارة .
الجوقة : لا عمل .
رئيس الجوقة : لا ثقة .

الجوقة : ولا ذرة من انسانية .
رئيس الجوقة : انها الحرب .
الجوقة : انها المجاعة .
رئيس الجوقة : انه التيفوس .
الجوقة : والسجون دائما ملأى .
رئيس الجوقة : من أجل كمية من القمح
يجب أن يكون معك بطاقات
أو تدفع السعر ثلاث مرات .

الجوقة : يجب أن نأتي من بعيد
سيرا أو على ظهر حمار

تحت الشمس أو في الثلج .
رئيس الجوقة : يجب أن ننتظر أياما بطولها
وغالبا لا ننال سوى الوعود
والشتائم أو الركل .
الجوقة : من أجل ليتر زيت .
رئيس الجوقة : من أجل متر قماش .
الجوقة : من أجل قطعة صابون .
رئيس الجوقة : يجب أن نحني ظهورنا .
الجوقة : ونعود بخفي حنين .
رئيس الجوقة : مرضى أو جياعا .
الجوقة : انهـا الحرب .
رئيس الجوقة : انهـا المجاعة .
الجوقة : انه التيفوس .
رئيس الجوقة : المستشفيات دائما ملأى .
الجوقة : في كل مكان يلمئون المجانين والجثث .
رئيس الجوقة : جميع الحشرات تنهشنا .
الجوقة : وحتى التبغ يختفي .

(فترة صمت . رئيس الجوقة ينتزع عن حاله القمل . يدخل علي ، والمنحوس ، والخابط الليلي ، والطقس الرديء . بين شفتي كل منهم سيكارة .)

علي (لرئيس الجوقة) : خذ ، يا أخي ، أتدخن ؟
رئيس الجوقة (نهماً) : شكرا ، أخي .
علي : أعرني جلبابك .
رئيس الجوقة : جلبابي ؟
علي : لحظة فقط .
لا عليك .
سأبقى هنا ، قربك .
لكنني بحاجة الى بعض القمل ...
رئيس الجوقة (مذعوراً) : بحاجة الى قمل ؟
علي : نعم ، من أجل اختبار ،
لأننا في المدرسة ندرس
جميع الكائنات
دون تمييز في الجنس أو الدين ...
(في اثناء كلامه يمسك علي بالجلباب الفـائر بالحشرات ،

ويجمع ، بشكل واضح ، افضل القملات ، ثم يضعها فى علبة . ويفعل أصدقاؤه الثلاثة الشيء نفسه بجلابيب اخرى استعاروها من أشقياء آخرين . يمر وقت . تدخل الجوقة فى الظل . يصل بعض التلاميذ . يسمع قرع جرس الصباح .)

علي (صارخا) : **الحرية بقملة !**

الطقس الرديء : **اشتروا قملا مضمونا !**

معلوفاً ، بارزاً !

الخابط الليلي : **القملة بفرنك !**

المنحوس : **أنا أدين !**

علي : **الحرية بقملة !**

الاربعة معاً : **الحرية بقملة !**

(يندفع التلاميذ ، فرحين ، نحو العلب الاربع ، كل منهم يأخذ عددا من القمل يعلقها على ثيابه بشكل مرئي . الخابط الليلي يلملم المال . يمر وقت . يدخل المدرس ، مسيو كليمان ، الى المسرح .)

مسيو كليمان : **الصمت !**

بالصف ، اثنين اثنين .

أدخلوا .

(يمر وقت . اصبح التلاميذ فى الصف . مسيو كليمان وراء طاولته . فجاة يفجر المشاغبون الاربعة الضجيج والصياح .)

علي (مشيرا الى الطقس الرديء) : **استاذ ، استاذ ، معه قمل !**

الطقس الرديء : **لا ، استاذ ، انه هو ، انظر !**

الخابط الليلي (مشيرا الى المنحوس) : **استاذ ، استاذ ، معه قمل !**

المنحوس (مشيرا الى الخابط الليلي) : **لا ، استاذ ، انه هو ، انظر !**

جوقة التلاميذ : **استاذ ، استاذ ، معه قمل !**

مسيو كليمان (مذعورا) : **اخرجوا ، اخرجوا كلكم !**

اخرجوا من هنا اخرجوا !

قمل فى صفي !

فى عز وباء التيفوس !

اخرجوا ، اخرجوا كلكم !

(خلسة ، يضع الخابط الليلي قملة على قميص مسيو كليمان الابيض .)

الطقس الرديء : **أنت ايضا ، استاذ !**

أنت ايضا عليك قمل !

اخرج ، اخرج من هنا !

مسيو كليمان (هاربا) : **ايها الجنس القذر ! ايتها المهنة القذرة !**
لهذا أحسنّي مضحكا ...
لا شك أنني محموم .
لا شك مطلقاً ، انه التيفوس .
ايها الجنس القذر ! ايتها المهنة القذرة !

التلاميذ (يغادرون المسرح) : **الحرية بقملة !**

(تدخل نجمة ، وحدها .)

نجمة : **مثل أبيه .**
انه مثل ابيه .
يسكنه روح شرير .
أين أجد له استاذا جديدا
وقد طرد من جميع المدارس ؟

٥

علي (وحيدا فى الصحراء) : **ظل هبط عليّ ،**
وركضتُ فى الصحراء
على مطارٍ من الحصى ،
وكان شبح العقاب عليّ .
من لم يعرف ليلة
فى بؤبؤي طائر جارح
هل يعرف بأي ايقاع
ينزف الدم الاسود
من قلب عضه الذعر ؟
أنا عرفتُ ذلك ،
وذرفت دموع الرعب
وشبح العقاب كان عليّ ،
لم يتوقف عن مطاردتي
منذ ساعة الخطف والهرب ،
ومنذ ذلك الحين ، ودون كلل ،
أراقب واقتل
لأبعد الطائر عن الظل
وذرفتُ دموع الجنون .

(يضطجع علي فى فيء النخلة . يمر وقت ، ثم نرى بعض البدو وهم مقبلون ، وقد أثارهم الفضول .)

الجوقة : **هذا الغريب مرة أخرى ! أليس عنده ملجأ آخر**
وها نحن نعود فنجده ملقى فى حمى شجرة

دون ان يكون قد سال شيئا ، ولا قال شيئا ، ولا سال شيئا.

رئيس الجوقة : **عقاب يحوم فوق رأسه : لعله محكوم ؟**
كنت أود لو أقول له كلمة ، لكنه من الصعب دائما
ايقاظ انسان دون مناداته باسمه .

علي (منتصبا على قدميه) : **ماذا هناك ؟**

رئيس الجوقة : **هدوءاً ، يا رجل ، لماذا تاتي هذه الحركة الدفاعية**
امام الشعب الذي لا ماخذ له عليك ؟
قل لنا فقط من أين اتيت ؟
دعنا نضيفك ، التقاليد تقضي ذلك .

(يمر وقت . رجع علي الى محاله تحت الشجرة ، دون ان يجيب .)

رئيس الجوقة (بصوت خافت) : **لا شك انه أصيب بضربة شمس ...**

(الجوقة تتهامس على حدة ، وكل واحد منها يهز رأسه ، ثم تشير الى احدى الشجرتين حيث يتصاعد دخان كثيف ، ثم تلتفت الى علي .)

رئيس الجوقة : **أترى هذه الشجرة ؟ أترى الدخان خلف الشجرة ؟**

علي : **نعم ، أرى .**

رئيس الجوقة : **هناك حشاش ، فيلسوف شعبي . يبحث عنك .**
ينتظرك .

الجوقة (على حدة) : **لقد خلقنا الواحد للآخر .**

(يبرز شرطي ، يتوجه رأسا الى علي .)

الشرطي : **أوراقك .**

علي : **ليس معي اوراق .**

الشرطي : **اتبعني .**

سحابة الدخان : **انتظرا .**
(لعلي) **تسافر دون اوراق ؟**

علي : **بلادي في حرب .**

سحابة الدخان : **لا يهم .**

حاكم المقاطعة
جشع ماجور وجاهل .
لكن سآخذ عليَّ
أمر تسجيلك بأسرع ما يمكن في دوائر النفوس ،
وكل ما يلزمني أصيص واسع ...

رئيس الجوقة : **هذا أصيص ازهار .**

سحابة الدخان : **لا ، لا لزوم للازهار**
فلننتزعها
ولنحتفظ بالتراب
بل لنسقه أيضا
لنجعله أثقل .
ولنضف اليه أخيرا طبقة من السمن
ولنجلس بالانتظار ...
(يبتعدون . يمر وقت . يبقى سحابة الدخان وحده . يرجع علي الى المسرح وفى يديه ورقة .)

سحابة الدخان : **هل كذبتُ عليك ؟**
علي : **استقبلني بكل ترحاب .**
(يدخل الكاتب الاول من كتاب الحاكم .)

الكاتب : **أنا اول كاتب فى المقاطعة**
حضرة الحاكم
يشكرك ويحييك
ويرجوك حالا
أن ترسل اليه
شهادة الولادة
التي سلمتُ اليك
اليوم ، بناء لأمره .
فهذه الوثيقة تعج بالاغلاط
التي قد تجعلها بلا أي قيمة .
يجب أن نصحح هذه الاغلاط
من أجل راحة ضمائرنا .

سحابة الدخان : **قدّم احتراماتي .**
لحضرة الحاكم
اجبه أن هذه الوثيقة
تبدو لي خالية من أي شائبة
وأجبه أيضاً
بأن الغلطة الوحيدة المؤسفة
موجودة فى قعر أصيص السمن .

٦

(سحابة الدخان يذرع ارض المسرح ، وبابوجه فى يديه .)
سحابة الدخان : **السلطان أهدى اليّ هذا البابوج المطرز بالذهب .**

هو يقول ان فيلسوفاً مثلي مشهوراً لا يجـــوز أن يعرّض اصابع قدميه للحصى . يا له من عاهل ! ألم يتضاعف تعذيبي بهذا الحذاء الامبراطوري ؟ من جهة ، لا استطيع ان انتعله مخافة تلويثه ، ومن جهة أخرى أراني مضطرا لحمله ، سراً ، وكان فردتي هذا البابوج طفلان لا شرعيان ! ويذكرني ذلك بشيء . فلقد تعلمت السرقة في الجامع . كنت قد تركت حذائي عند باب الدخول ! مثل الجميع ... وعبثاً فتشت ، بعد انتهاء الصلاة ، تحت الحَصر !
أي !! أي !

(تنهال الحجارة على سحابة الدخان . يدخـــل علي الى المسرح ، تتبعه الجوقة التي تعود فتختفي .)

علـي : **جئت لآخذ الدرس .**
سحابة الدخان : **سنبدأ بالأفعال الناقصة .**

(يمر وقت . يبدأ سحابة الدخان اعطاء الدرس . يسحب علي لوحه .)

رئيس الجوقة (يقترب وعلى راسه طبق) : **هذان قرنا غزال ، من قبل المفتي .**

سحابة الدخان : **يا لهذا المفتي الحبيب ! شكراً . ستقول للأقرن بامكانه أن يفخر بغزالته .**

(يضع رئيس الجوقة الطبق ويذهب . قرع طبول .)

رئيس الجوقة (عائدا) : **السلطان يطلبك . الأمر مستعجل .**

سحابة الدخان : **حقاً أصبحتُ لا غنى عني لهذه المملكة !**

(لعلي) : **انتبه لهذا الطبق . يحتوي على سكّريات مسمومة لأحد المتآمرين . لا تلمسه .**
(ينسحب سحابة الدخان . يرفع علي الغطـاء عن الطبق .
علـي : **اطمئن .**

يراقبه رئيس الجوقة الذي لا يبدو انه في عجلة من الذهاب . قرع طبول .)

علي (وهو يأكل) : **ما اغرب الحياة ! ما ألذ الموت بالسم !**
رئيس الجوقة (حاسدا) : **انا ايضا سئمتُ الحياة .**
علي (مبتلعاً آخر قطعة من الحلوى) : **ليس الجميع تلامذة لسقراط .**
(يمر وقت . ينسحب رئيس الجوقة ، ذليلا .)

علـي : **يا لهذا الحبور ! لا ريب أنني أسبح الى الفردوس ، ومع هذا يجب أن ابكي ...**

(يأخذ بالبكاء ، مبللا لوحه .)

سحابة الدخان (داخلا وهو يفكر امام الطبق الفارغ) : **ابن الحرام !**

عـلي : **استاذ ، لقـد وسخت لوحي ونسيت كل ما أمليته عليّ . وبما أنني اعرف سخريتك الصارمة ، فقـد رغبت الموت وأكلت هذه السكريات المسمومة ، رغم تحذيرك !**

سحابة الدخان : **ابن الحرام !**
انه من هؤلاء التلاميذ
الذين لا ينتظرون
نهاية الدرس .

٧

(سحابة الدخـان نائم على الحصيرة الزوجية . عتيقة ، زوجته ، جالسة في زاوية ، امام حزمة تمر ، تضيئها شمعة . سحابة الدخان يتقلب على الحصيرة .)

سحابة الدخان : **اطفئي الضوء .**
عتيقة : **أتساءل ما الذي يتعبك .**
سحابة الدخان : **اطفئي الضوء .**
عتيقة : **لا شك انك لست نعساناً .**

لم تتوقف عن التقلب والدوران ...
سحابة الدخان : **اطفئي الضوء .**

منذ ثلاثة ايام لم يغمض لي جفن .
عتيقة : **تريد أن تقول انك نمت**
ثلاثة ايـام بلياليها .

سحابة الدخان : **اذن لا شك انني حلمت**
اطفئي الضوء .
عتيقة : **انك تجننني !**
ندور في مكاننا ،
مثل عقربَيْ ساعة ،
وأنت دائما بلا عمل .
وأنا ، انتظرك ،
وأعد الساعات .

سحابة الدخان : **نامي .**
وخليني انــام .
أليس لك أي ثقة
بالثورة ؟
عتيقة : **وأي ثورة !**
منذ زواجنا
وأنت كل يوم دائخ ،
لقد برموا لك راسك .
سحابة الدخان : **اطفئي الضوء !**
ماذا تنتظرين ؟
يوم الحساب ؟
السهر مع ميّت
تحرقين هذه الشمعة ؟
اطفئي الضوء !
عتيقة (فاتحة احدى التمور) : **انظر !**
في هذه الثمرة دودة !
سحابة الدخان : **أرأيت ؟**
لو أصغيت لي ،
لو اطفات الضوء ،
لكنت أكلت هذه التمرة
كالتمور الاخرى ،
سواء بدودة او بغير دودة ،
ولكنا الآن في سلام .
عتيقة (متنهدة) : **آه ! كم اتأسف**
على زوجي الاول !
سحابة الدخان (مقلداً اياها) : **آه ! كم اتاسف**
على عزوبيتي !
عتيقة : **ما كان قط**
يعاملني هكذا
الرجل الذي فقدت
لأقع بين يدي
هذا الجلف الذي لا يتكلم الا بالامثال

سحابة الدخان : **هو البؤس ما دفعني**
الى هذا الزواج المصلحي .
كان خيراً لي لو كنت مسيحياً ،
ودخلت الى الدير ،
ولبست الثوب .
خير لي أن أحد على رجولتي
من أن اكون قد تزوجت الارملة النقّاقة !
لا تعرف أن تتكلم الا عن المرحوم الأبله
الذي حلّتْ محلـه ،
الذي قتلته كما تقتلني ،
من فرط النق .
ولو كانت وحدها مع شبحها الذي لا يفارقها

لهان الأمر .
لكن معها أيضاً أمها ،
أرملة السوء الاخرى .
الخلاصة : ها انا ماخوذ
بين الشمطاوين ،
وبين ظل غريم
رقد الى الأبـد
بينما أنا ممنوع
عليّ النـوم دائماً .
(عتيقة تتسال ، بصمت ، الى قربه . يدفعها عنه بقوة .)

عتيقة (مصيحة) : **ماما ! ماما !**
ليلى منيرة (ظاهرة بغتة) : **بنتي ! بنتي !**

ماذا فعلتَ ببنتي ؟
سحابة الدخان : **بنتك ؟ تهانيَّ .**

انها مناجية ارواح من الطبقة الاولى .
لقد فاجأتها ،
على مضجعي أنا ،
مع زوجها الاول ،
رغم انه مات من زمان .
وبما انه لم يكن هناك مكان كاف
لثلاثة اشخاص
فقد أمرتَ الخائنة

أن تنتظر على الارض
ريثما يتكرم المرحوم ،
تغمده الله برحمته ،
ويخلي المكان .
تلك هي كل وحشيتي .
أين تجدين صهراً
بمثل هدوئي ؟

(كجواب وحيد على سؤاله ، ترتمي ليلى منيرة وعتيقة على سحابة الدخان ، وتنهالان عليـــه ضربا . يسمع وهو ينزل السلم وسط الضجيج . تهرع الجوقة .)

الجوقة : **ماذا هناك ؟ ماذا هناك ؟**
سحابة الدخان (ذليلا) : **لا شيء . لا شيء .**
مجرد سروال ...
سحابة الدخان : **وقع من فوق .**
الجوقة (ساخرة) : **كل هذه الضجة**
بسبب سروال ؟
سحابة الدخان : **وللاسف**
كنت فى داخله !

٨

(تدخل عتيقة ، وحدها .)
عتيقة (على حدة) : **أما كفاني**
أن يكون فيلسوف فقير
زوجاً أبدياً لي
حتى يفرض عليَّ أيضاً تلميذه ؟
لكن أين هو ، هذا المتشرد ؟
علـــي (بارزا) : **ها أنا .**
عتيقة : **اعطني يدك .**

(يجوبان السوق . تشتري بضع دجاجات ، وديكا محبوسا فى قفص . ثم تشتري حزمة تبن للحمار الذي يحمل كـــل الحمل : حزمة التبن من جهة ، والدجاج والديك من جهـــة اخرى .)

عتيقة : **ارجع الى البيت ،**
ضع كل شيء ،
وعد لتأخذني .

يجب أن ابتاع حوائج أخرى .

علي : **حسناً .**

(يبتعد . تغادر عتيقة المسرح .)

علي (متأملا القفص) : **يا للحيوانات المسكينة !**

انها تذوق مر العذاب

في هذا القفص الضيق ،

ساطلق سراحها ،

وادعها تمشي أمامي .

(يفتح القفص . تفلت الدجاجات) .

علي (لاحقا بها) : **من هنا ! من هنا !**

(يختفي كل أثر الدجاج . يصل علي ، اخيرا ، الى الديك .)

علي : **يا عديم النفع !**

أنت الذكر ، ولا تعرف حتى

أن تجمع حريمك ،

ومع هذا تتباهى .

لقد جنيت على نفسك .

ستظل سجيني .

(يعيد الديك الى القفص . يمر وقت .)

علي : **هذه المطاردة انهكتني .**

سادخن سيغارة .

(يمتطي الحمار ويشعل قداحته دون أن ينتبه الى حزمة التبن . تنتقل النار الى ظهر الحمار الذي ينطلق راكضا ، ومؤخرته مشتعلة بالنار، بينما يقع علي أرضا ويعض التراب. من دون أن ينفعل .)

علي (للحمار) : **آمل أن تمضي رأسا الى الجدول .**

تعرف أين هو .

أما أنا فانتظرك هنا .

(علي راكبا على الحمار الذي يمسك سحابة الدخان رسنه . في مقدمة المسرح تلبث الجوقة تنظر الى الرجلين والحمار وهم قادمون .)

الجوقة : **هذا الشاب**

دون اي تربية .
كان بامكانه ، حسب العرف ،
أن يترك المكان للأكبر منه .
(علي يترجل .)

علي : **لا تؤاخذني .**
لم افكر في ذلك .
لم افكر في ذلك .
اصعد ، أرجوك .
(سحابة الدخان يأخذ محل علي .)

الجوقة : **انظروا هذا الغشاش**
انه يحمل
دون أن يهتم لرفيقه
الذي يرهق نفسه في الالحاق به .

سحابة الدخان (لعلي) : **اصعد معي .**
(علي يمتثل .)

الجوقة : **الا يخجلان**
من ان يركبا الحمار معاً ؟

سحابة الدخان (لعلي) : **فلننزل كلانا .**
(يمشيان وهما يدفعان الحمار امامهما .)

الجوقة : **احمقان يسوقان حماراً .**
وليس فيهما من يفكر في ركوبه .

علي : **اهذا هو صوت الشعب ؟**

سحابة الدخان : **امشِ ولا تصغِ .**
يعرف الحمار من أذنيه الطويلتين
امشِ ولا تصغِ .

١٠

(سحابة الدخان يغادر المسرح . تدخل عتيقه .)

عتيقة : **اسمع**

سأقوم بزيارة لصديقة .
هناك رجل سيحمل حزمة حطب .
سوف أترك الباب مفتوحاً .
انت تبقى امام الباب
ولا تتحرك حتى أعود .

علي (مردداً) : **ستقومين بزيارة صديقة .**

هناك رجل سيحمل حزمة حطب .
سوف تتركين الباب مفتوحاً .
أما انا فأبقى امام الباب ،
ولا اتحرك حتى تعودين .

(عتيقة تخرج . يدخل سحابة الدخان .)

سحابة الدخان : **أين زوجتي ؟**
علي : **عند صديقة .**
سحابة الدخان : **هيا ، اذهبْ وراءها .**
انني بحاجة الى قميص نظيف .
ستحمله لي الى المقهى .
(سحابة الدخان يخرج .)

علي : **فلنراجعْ**
عليَّ ان ابقى امام الباب
وعليَّ ايضا ان أتغيب .
حسناً . لنتصرف بنظام .
(يخلع الباب ، يحمله على ظهره ، ويأخذ في المشي . عند منتصف الطريق يصادف عتيقة التي تتقدم ، متوعدة .)

عتيقة : **ايها الشقي ! اراهن**
ان جميع زعران الحي
دخلوا هذه الساعة الى بيتي !

علي (متراجعا) : **يلزمني قميص نظيف ...**
عتيقة (حانقة) : **اعطني هذا الباب !**
علي (هارباً) : **لا تنسي القميص !**

١١

(يدخل السلطان والمفتي وبعض الاعيان الاخرين . يعقدون اجتماعاً . الجوقة في مقدمة المسرح تحرك مكانسها وسط غيوم كثيفة من الغبار . بعيداً عن الفريقين ـ الجوقة والاجتماع ـ سحابة الدخان مستغرقاً في غليونه .)

سحابة الدخان : **بئس ، بئس ، بئس الفلسفة .**

السلطة في غنىً عن العقول الهدامة
والشعب لا يقدر ان يسمعني
واذناه مسدودتان

بضجيج السلطة الهائل ...
(ترتفع من الاجتماع ضجة ، ثم يسمع صوت السلطان .)

السلطان : **ما نفع الفلسفة ؟**
ليست هي النظريات
ما سيحصل الضرائب .
ما نحتاجه هو الذهب فى خزائننا
والاتفاقات مع الدول الخارجية
للتخفيف عن الشعب
دون نسيان خدام الدولة

الاعيان : **دون نسيان خدام الدولة .**
المفتي : **وحده الله قادر ان يساعدنا .**
وقى الله شعبنا
شر المشاغبين الدائمين .
وقانا الله شر الرؤوس العنيدة ،
شر الفلاسفة ، والشعراء ، والخطباء ، والمجانين والعلماء .

الأعيان : **وقانا الله شر المشاغبين الدائمين .**
(ينسحب الأعيان ، تتجمع الجوقة حول الفيلسوف الذي يتابع التدخين فى صمت .)

رئيس الجوقة : **انظروا هذا الرجل**
الشيطان يسكنه
انه يعرف علامات المستقبل
ولا يفعل شيئاً
لا يعرف غير ان يدخن
قنّب الموتِ البطيء
كالهندي .

(يمر وقت . تعود الجوقة الى تحريك مكانسها ، مقتربة بقصد .)

سحابة الدخان (يكاد يختنق) : **توقفوا ! توقفوا ! أما شبعتم من تحريك الرمل ؟**
رئيس الجوقة : **انها أوامر السلطان**
نحن محكومون بعواصف الرمل
للسلطان الذهب والتمجيد

لنا الغبار والذباب .

الجوقة : **يجب أن نشتغل لنعيش**
الله قال ذلك
السلطان قال ذلك
المفتي قال ذلك
يجب ان نشتغل لعيش .

سحابة الدخان : **نعم ، نعم ، أفهمكم .**
تحركون الرمل وأحك رأسي
أين يذهب عملكم ، ماذا يصير تفكيري ؟
كل شيء يضيع ، كل شيء ضاع .
الا لله .
الا للسلطان .
الا للمفتي .

الجوقة (ساخطة ، وطاردة سحابة الدخان) : **يا للتجديف ، يا لشر تجديفٍ في التجديف !**
(خلال هربه ينقذ سحابة الدخان غليونه ، لكنه يترك ابريقا على الارض .)

رئيس الجوقة (رافعا الابريق) : **والله ، هذا فيلسوف حقيقي**
وعقل سليم وكامل :
انه دائماً مع غليونه
لكنه أيضا لا ينسى ابريق النبيذ المنعش ...

سحابة الدخان (من وراء الكواليس) : **ايه ايها العرب ، لماذا نخترع الخمر ونموت عطاشاً ؟**

(يمر وقت . الجوقة تشرب خلسة ، ثم ترقص ، وعلائم السكر بادية عليها ، حول الابريق ، وهي تصيح أعلى فأعلى :

يا للتجديف ، يا للتجديف ، يا لشر تجديف في التجديف ! تنسحب الجوقة . يعود سحابة الدخان الى المسرح . يرى في عز الحركة : يسرق بصلا ويخفيه تحت قبعة جلبابه .)

سحابة الدخان : **أيها البؤس ، ايها البؤس الأسود**

يا بؤس الفلسفة !
ما من عدالة هناك .

أو أن العدالة كثيرة
اذ ها أنا أسرق البصل
في حديقة المفتي .

(يدخل المفتي . يؤخذ سحابة الدخان بالجرم المشهود فيبقى عالقاً ببصلة ، ينتظر الوحي .)

سحابة الدخان : أيْ ، هوذا صاحب الملك . جاء في الوقت المناسب .
المفتي (مازحاً) : ماذا تعمل ايها الفيلسوف ؟
سحابة الدخان : هبّة ريح .. هبّة عنيفة . قذفتني الى حديقتك رغماً عني ...
المفتي : والبصلات المقلوعة ؟
سحابة الدخان : حين اقول هبّة ريح أكون متواضعاً . كانت اعصارا هائلا ، اعصاراً لولبياً ، زوبعة .
المفتي (وقد ظن انه تمكن ، اخيراً ، من تطويق خصمه) : وهذه البصلات في قبعتك ؟
سحابة الدخان : انا نفسي كنت اتساءل حين وصلت ، باي معجزة وجدتْ هنـــا ...

(المفتي يغادر المسرح . سحابة الدخان يذرع المسرح جيئة وذهاباً وهو غارق في الصمت .)

سحابة الدخان : هوذا الشعب يطوف ، ســاخرا وفضوليـا ، فضلا عن جواسيس المفتي ... لكن ليس بيننـا شيء نقوله . انني منهك . (يشرع في الصلوات .) يا الهي ، سامحني ان كنت اضرع اليك في الشارع ، لكنني لم اجدك في الجامع .
(تاجر ثري ينحني على شرفته . سحابة الدخان يواصل الصلاة دون حراك . الجوقة تراقبه عن بعد .)

سحابة الدخان : يا الهي ، ثلاثـاً ،
يا الهي ، ، ثلاثـاً !
يا الهي ، ، ثلاثـاً !
التاجر : من هذا الزنديق ؟ كان عليَّ ان احزر . انه ايضا هذا الفيلسوف المزعوم ، هذا المسكون ، هذا الشقي .
سحابة الدخان : يا الهي ، ثلاثـاً !

اصغ اليَّ
يا الهي
ثلاثاً !

أتسمعني ؟
تلزمني مئة قطعة ذهب .
تريد أن تعرف ماذا سافعل بها ؟
لا يعنيك .
ابعث الي بمئة قطعة ذهب
ولا تهتم بالباقي .

التاجر : من رأى فى حياته مثل هذه الوقاحة ؟
من سمع استهزاء بالله بمثل تلك العبارات !
وتحت نافذتي ، أنا ، باني الجامع !

سحابة الدخان : يا الهي ، ثلاثاً !
ابعث الي بمئة قطعة ذهب ، الامر مستعجل .
مئة قطعة ذهب :
اوسع بها دائرة اصدقائي
واجتاز دائرة دائني .
مجرد مئة قطعة ذهب تافهة
بالنسبة اليك هي اقل من لا شيء .
أرسلها الي
أريد مئة ، بالضبط
لا أكثر ولا أقل .

التاجر (مبتسما) : مرة اخرى ساضطره الى الصمت . سأقبض عليه وهو فى جرم الزندقة المشهود .
(لاجوقة :)
هيه : أيتها الصديقة !

الجوقة : أنـا هنـا .
التاجر : لا تبتعدي . سترين بعينيك ...
الجوقة : أنـا هنـا .
التاجر : عندي فكرة ، فكرة عظيمة ترفع لي كوفيتي .

(يفتش فى كوفيته ويسحب منها صرة يفتحها بسرعة .)
أجل ، نحن معشر التجـار المسلمين ، نحمل دائمـا ثروة فى رأسنا ، وأفكارنا توزن بالذهب . يا للفيلسوف المسكين ! أريد ان اراك تعبد الاله الذي تجدف عليه ، وأريد أن أضحك المدينة على حسابك .

(عند هذا يسقط التاجر ٩٩ قطعة ذهبية ، الواحدة بعد

الاخرى ، امام قدمي سحابة الدخان الذي يعدها بوقار .
وكلما اسقط قطعة ، حيا التاجر الجوقة تحية محمومة
وكأنه يشهدها .)

سحابة الدخان (عاداً) : **تسع وتسعون ...**

تنقص واحدة . حقا كنت أعرف
ان لا شيء كامل . .
حتى ولا افعال الله .
لكنني لم أكن احسبه بهذا البخل .
تذكر ، يا رب ، انك مدين لي بقطعة .
عندي شهود عليك .

التاجر (وقد أخرجه الغضب عن طوره) : **آه اللص ، الزنديق !**
كنت واثقاً أنه سيتراجع عن كلامه .
(للجوقة .)
لقد رأيتم وسمعتم !

الجوقة : **مـا رأينـا ولا سمعنـا .**
لا شـأن لنـا بذلك .

التاجر (نازلا الى الشارع) : **أيهـا الأشقياء !**
مـاذا ! ألم تسمعوه ؟

كان يطلب من الله مئة قطعة ذهبية ،
لا أكثر ، ولا اقل
الم تروني من نافذتي أرميها اليه ،
التسع والتسعين قطعة التي قبضها الان ؟

الجوقة : **لا رأينـا ولا سمعنـا**
لسنا مكلفين احقاق الحق .

التاجر : **أجل ، أنتم الرعاع**
الجهلة المقملون
لم تؤمنوا بالعدالة يومـاً .
لكنني أؤمن بها .
فلولا العدالة كيف كان لي
ان أحمي ثروتي
من اللصوص أمثالكم ؟

الجوقة (متحدية) : **لا شيء يمنعك من الذهاب الى القاضي .**

التاجر : **أنتم قلتم ، لنذهب الى القاضي .**
لنذهب ، لنذهب !
(يهز سحابة الدخان)

سحابة الدخان : لا يمكنني الذهاب عند القاضي بهذه الثياب الرثـة .
أما انت ، فان قفطانك المطرز يملأك ثقة بالنفس .
واما أنا ، فان ثوبي العتيق الوسخ
سيكون وبـالا علي .
(للجوقة :)
مـا قولكم ؟
رئيس الجوقة : معه حق .
الجوقة : العدالة ليست عادلة الا للذين بينهم مساواة .
رئيس الجوقة : بالمظهر على الاقل ...
التاجر : طبعـاً ، أنتم معه .
لكنني سأنتصر عليكم مجتمعين .
أنت ، ايهـا العبـد !
(يدخل خادم .)
هات لي قفطاناً شبيهاً بالذي ارتدي .
(لسحابة الدخان :)
والآن
اتاتي معي الى قصر العدل ؟
سحابة الدخان : نعم ، لكن ألن تمتطي
مهرتك البيضاء الملبسة بالذهب ؟

وأنا ، سيكون عليّ أن امشي على قدمي
فى لهيب هذه الشمس المحرقة .
الظلم ، من البداية ، فاضح .
التاجر : وحق الشيطان
سأسلبك جميع أعذارك .
أنت ، أيهـا العبـد !
أحضر أيضا مهرة بيضـاء .
والآن ، أتاتي معي الى القاضي ؟
سحابة الدخان (مرتديا القفطان) : كلا ، ليس الى القاضي .
فهو على كل حال ليس سوى رئيس العدل .
أريد أن اذهب الى السلطان
الى المؤتمن على السلطة المطلقة .
التاجر : طيب طيب ، لنذهب الى السلطان .
لن يكون الحكم عليك أقل قسوة .
الجوقة (بتقطيع) : الى السلطان ! الى السلطان !

(يدخل السلطان الى المسرح . صمت)

السلطان : **الوقت يزحمنـا .**

لنوجز .
فليشك الشاكي .
وليتهم المتهم نفسه .
ولننته .

التاجر : **مولاي السلطان ، السلام عليك .**
انك تعرف خادمك الأمين جيدا .
تعرف أنني تاجر مستقيم
لم يوفر ماله قط
من أجل خير المملكة
وعزة المسلمين .

السلطان : **صحيح . نعرفك .**

افض الينا بشكواك ، ولا عليك .

سحابة الدخان : **وأنا ، أيها السلطان ، لا بد أنك تعرفني .**

السلطان : **للشاكي أن يتكلم .**
الوقت يزحمنا .
اذا كان في نيتكما القاء خطب
وكلا محـامين .

التاجر : **لا سمح الله !**
كفاني ما خسرت من مال .
بكلمة
أعلم مولاي السلطان
ان هذا الرجل سلبني
مئة ذهبية
أمام شهود تبين لي انهم شركاؤه .

الجوقة (متمتمة) **لا رأينا ولا سمعنا .**

سحابة الدخان : **تسع وتسعون !**

السلطان : **ماذا تقول ؟**

سحابة الدخان : **تسع وتسعون .**
لا مئة ، وانما تسع وتسعون .

السلطان : **ماذا تقول ؟**
والله ، لا اسمع شيئـاً !

سحابة الدخان : **حسناً ، لنطو ذلك . خصمي يزعم**

أنني سرقت منه مئة ذهبية .
فلنقف هنا ، انها عقدة القضية .

التاجر : نعم ، لنقف هنـا .

السلطان : لقد تكلم الشاكي .
فليجب المتهم صراحة ودون لف ودوران

سحابة الدخان : أيها السلطان ، كلامك من ذهب .

ستكون مرافعتي مختصرة :
خصمي مجنون ، لا اكثر ولا اقل .

التاجر (مستاء) : كيف ، أتجرؤ !

سحابة الدخان : نعم أيها المسكين

همومك المالية أفقدتك صوابك
الست تزعم انني سرقت منك مئة ذهبية ؟

التاجر : تمـامـاً !
مولاي السلطان مر بتفتيشه .
سترى أن المـال مـا يزال معه .

سحابة الدخان : لا فائدة من تفتيشي .

صحيح ، انني أحمل المبلغ المذكور ،
ناقصـاً قطعة واحدة ... لكن قل لي ايها التاجر ،
هل تحسب أن العالم كله ملك لك ؟
اذا كان هذا رأيك فاني أراك ستزعم أيضـاً
أن قفطاني هو لك ...

التاجر : اكيد ، انه لي .

سحابة الدخان : والمهرة التي تنتظرني أمام الباب ...

التاجر : انهـا لي .
ولمن يمكن ان تكون ؟
الم اعرك اياها قبل لحظة ؟
ألم أعرك القفطان ؟
ألم تقل انك تريد ان تبدو لائقـاً أمـام السلطان ؟
(للجوقة :)
وانتم ، أيها الأوغاد ، كنتم حاضرين .
رأيتم كل شيء ، قولوا كلمتكم !

الجوقة : مـا رأينا ولا سمعنـا .
لا شـأن لنـا بذلك .

سحابة الدخان : لنتكلم جديـاً ايهـا السلطان .

أتراك تعطي قفطانك
أتراك تعطي مهرتك رجلا
سرق منك مئة ذهبية ؟

السلطان (متضايقا) : **هم !**

سحابة الدخان : **اعترف ، أيها السلطان ،**
بان جنون الشاكي يبدو لك واضحـاً .
مجنون آخر في مدينتنـا ...

(التاجر ذاهل في صمته . السلطان حائر . ضحكـات مكتومة في الجوقة . فجأة ، يقترب التاجر من سحـابة الدخان ويصفعه .)

السلطان : **هيا ، هيا ، هدوءاً !**

الجوقة : **أيها السلطان ، انت شاهد على هذا الاعتداء .**

السلطان : **هدوءاً ، لم يحصل شيء .**
أيها التاجر ، اخطأت بهذا التصرف .
لقد وضعتني في موقف حرج .
كنت مستعداً كل الاستعداد لتصديقك
وها انت تحول المتهَم الى متهِم !
لكننا نسامحك ، فاستياؤك يبدو لنا مشروعاً .
هيا ، انسحب ، اخرج وتنشق الهواء
سنستأنف البحث
حين تعود اليك رباطة جأشك .
اذهب ، يا صديقي ، لا تخف شيئا .
لسنا مغفلين .

الجوقة (متمتمة) : **كان ذلك منتظراً .**
السلطان يحمي التاجر .
هذا منطقي .

السلطان : **سكوت . عندي شغل .**

(التاجر ينسحب . السلطان ينام فوق أحد الملفات . يمر وقت . يقترب سحابة الدخان من السلطان خلسة .)

سحابة الدخان : **مولاي السلطان ، الوقت يزحمنا ،**
وأنت مرهق بالعمل .
ساساعدك على ان تكون عادلا .

(يصفع السلطان صفعة هائلة .)

حين يرجع خصمي
أعد اليه صفعته ، بكل عدل .

(يسمع صفير قطار . يأخذ سحابة الدخان ، يتبعه علي ، محلا فى شقة من القطار ، وامامهما يجلس الثلاثي : وجه الجبس ، الخابط الليلي ، والطقس الرديء ، وجه الجبس مشغول بدوزنة عوده .)

وجه الجبس : **قادمان من المغرب ؟**
سحابة الدخان : **المغرب ؟ لا أعرفه .**
وجه الجبس : **تقصدان جهة معينة ؟**
سحابة الدخان : **كلا ، البلاد تغادرنا .**
وجه الجبس : **تقصدان جهة معينة**
سحابة الدخان : **العلم عند الله وحده .**
وجه الجبس : **هذا القرد العجوز لا يبدو انه يحب حديثي . متأسف .**

(يبدأ فى العزف)

سحابة الدخان : **كفى ، انك تزهقنا .**
وجه الجبس : **أليس لي الحق أن أتسلى ؟**
سحابة الدخان : **ما هكذا .**
وجه الجبس : **لعل المعلم يظن انه يعطينا دروساً ؟ اذاً ، اني أصغي .**

(يقدم وجه الجبس عوده الى سحابة الدخان فيأخذه ويبدأ ، دون أي تردد ، ينقر تنقيراً أبله ، على وتر واحد .)

وجه الجبس : **اهذه هي أغنيتك الوحيدة ؟**
سحابة الدخان : **انها تساوي أغنيتك .**
وجه الجبس : **أنا ، على الاقل ، أعزف على الاوتار الثمانية .**
سحابة الدخان : **هذا دليل انك مبتدىء . لست بحاجة للتنغيم على ثمانية أوتار . وتر واحد يكفيني ..**

(يمر وقت. يلقي وجه الجبس نظرة من الباب .)

وجه الجبس : **هذه هي . اننا فى الجزائر .** —
علي (بحماسة) : **هذه بلادي !**
وجه الجبس (لعلي) : **أنت ، تعجبني .**
سحابة الدخان : **مهلا مهلا ! الولد لا يعرفك . وأنا لست من الذين يسحرهم الموسيقيون .**
وجه الجبس : **نحن شابان وأنت عجوز . دعنا نلعب ، دعنا نقطع الوقت .**

(لعلي :)

ماذا تملك ، غير أسمالك ؟

علــي : **لا شيء .**

وجه الجبس : **لا شيء مطلقاً ؟**

علي (ساحبا سكينة قديمة) : **انها كل ميراثي .**

وجه الجبس (فاحصا السكينة) : **ان ذلك يذكرني شيئا . حسنا ، اسمع . هذه السكينة ساخبئها . أغمض عينيك .**

(يضع وجه الجبس يده على وجه علي ، وباليد الاخرى يدس السكينة في جيبه .)

وجه الجبس : **اسمع الان . ساعزف ، وكلما اشتد عزفي كان معناه انك تقترب من مكان السكين . وعندما تخفت موسيقاي فمعناه انك ابتعدت كثيرا عن المكان الصحيح . مفهوم ؟ وانت ، ايها العجوز ، اقفل فمك ، والا ذبحتك .**

(يبدا وجه الجبس العزف . علي يجوس خلال الشقة . سحابة الدخان يعود الى اشعال غليونه الطويل ، وينفخ باصرار ناحية وجه الجبس ليدل على أن السكينة ليست الا في جيب العازف . يفهم الاشارة ، وينتصب أمام العود ، مضطرا وجه الجبس الى العزف باكثر واكثر قوة ، وحتى الانهاك .)

وجه الجبس : **لقد ربحتَ .**

(يعيد اليه السكينة . خلال المرحلة الاخيرة من هذه اللعبة الموسيقية ، يدخل قائد بجلباب احمر ، هو طهار ، ويضع في الشقة حقيبة ضخمة . وتجذبه الموسيقى ، فيستسلم للاغراء ، ويريد هو ايضا أن يلعب .)

طهــار : **انتم على الاقل تعرفون أن تضحكوا . دائما أحببتُ الفنانين .**

وجه الجبس : (محييا) : **اجلس ، ايها القائد ، ايها الموظف المحترم ! انت ايضا تعرف أن تعيش . دائما اقدّر الشخص الفذ ، خاصة اذا كان بالجلباب الاحمر ، واذا تنازل ونسي واجبات وظيفته ، واذا رضي باللعب مع مساكين لا مأوى لهم ولا أهل!**

طهــار : **أكيد ألعب .**

سحابة الدخان (ناظرا خلسة الى الحقيبة) : **مولاي القائد ، ايها اللاعب الممتاز ، سنؤدي واجب التشريف نحوك بأن نحقق معجزة اخفاء هذه الحقيبة العملاقة . عندئذ ترى مهارتنا .**

طهــار : **ها ، ها ، ما اشطرهم ! اخفاء حقيبة بهذا الحجم ! ها ، ها ! ساغمض عينيّ .**

(بنظرة واحدة تم التفاهم بين وجه الجبس وسحابة الدخان.)

سحابة الدخان : (مرجحا حمل الحقيبة) : **بحق الشيطان ، انها ورطة كبيرة .**
(لعلي :)
اتبعني .

طهار (ضاحكا ، مغمض العينين) : **ها ها ها !**
احب ان اعرف اين سيضعونها !
وجه الحبس (عازفا) : **بامكانك أن تفتح عينيك .**

(يدخل علي الى المسرح ويرسل اشارة الى طهار ، جاذبا اياه الى زاوية من زوايـــا المسرح ، بينما يعزف الموسيقى بقوة متضاعفة . فى هذه الاثناء ، وفى الطرف الآخر من المسرح ، يرى سحابة الدخان يتوارى ومعه الحقيبة . تصفير . يرى وجه الحبس يتوارى بدوره ، يتبعه الطقس الرديء والخابط الليلي ، بينما يأخذ طهار ، فى ضياعـــه ، يولول من الفيظ ويتأوه .)

طهـــار : **الوداع يا جلبابي الاحمر**
الوداع يا لقب القائد !
هذه الحقيبة كانت تضم
اكثر من تقرير سري
موجه الى المديرية ،
واكثر من محضر ضبط
واكثر من ورقة ضريبة .
احترقتْ ، من الجهتين .
المدير سيصرفني من الخدمة
والحقيبة ستختصر الطريق
الى جماعة ثورية .
من الجهتين احترقتْ .
(الجوقة تذرع ارض المسرح . يدخل علي وفى يده الحقيبة .)
عـــلي : **لقد تقاسمنا .**
لكن الآخرين خانهم الحظ .
كانوا يريدون بيع الثياب .
وصدف ان رجال القائد كانوا فى السوق .
اضطررتُ أن أهرب بالحقيبة
وآلـــة الموسيقيِّ .
لكن رحلتي الى المغرب
لم تكن خاسرة بالنتيجة .

انني الآن كبير !
(تدخل نجمة . يتعانقان . يتملص علي من العناق .)

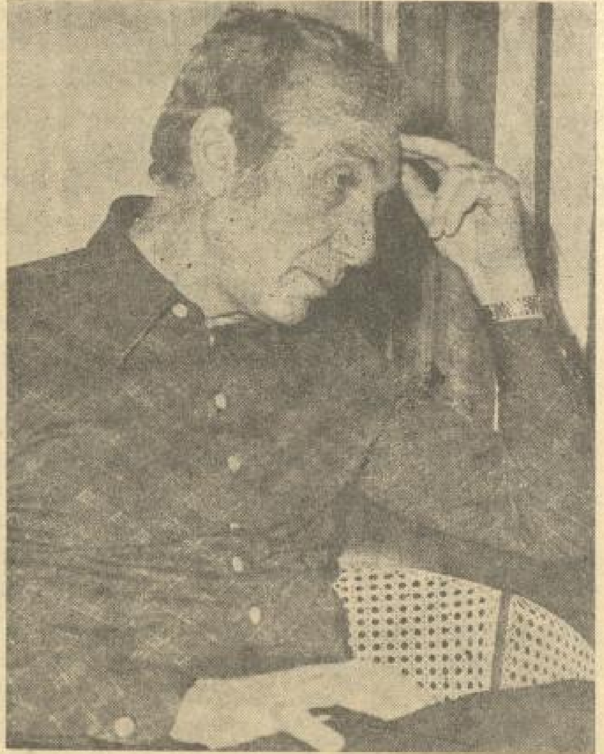
علـي : **سأذهب فى جولة .**
(يخرج)

نجمة (وقد حجبتها الحقيبة) : **أسأت تقديره .**

رَجلي الصغير !
ها هو يعود بحقيبة عملاقة ،
حقيبة دبلوماسية حقاً .
كم أود لو اعرف
ما فى داخل هذا البناء الضخم .
(تفتح الحقيبة ، لكنها لا تجد سوى عود وجه الحبس المهشم .)

نجمة : **لعنةُ الله !**
يذهب الى المغرب
لمتابعة دروسه
وبعد ثلاث سنوات يعود
وفى حقيبته عود !

(نقلها عن الفرنسية أنسي الحاج)



د. فــواز طوقــان

حوار مع نزار القباني

حدد الشاعر العربى نزار قبانى فى حوار اجراه الدكتور فواز أحمد طوقان ونشرته الرابطة الثقافية فى عمان مواقفه من قضايا الشعر العربى المعاصر . وقد اختارت « الجديد » ان تقدم لقرائها بعض هذه المواقف التى طرحها الشاعر رغبة منها فى اغناء النقاش الدائر حول مسيرة الشعر العربى المعاصر وآفاقه .

ومن غير الضرورى ، ونحن نزود قراء « الجديد » بآراء شاعر ذاع صيته ، أن نتوقف عند نقاط نلتقى عندها معه او ان نناقش منطلقات لا نرى صحتها .. فالحكم الموضوعى لا يستقيم بدون حرية الحسم التى هى من حق القراء وصلاحياتهم .

فمن حق المطلعين ان يقرروا اذا كان الشاعر قبانى أصاب حين قرر ان العرب لا يملكون من الموسيقى الا الربابة !! كما ان من حقهم ان يتذوقوا القصائد « الدائرية » او « المائية » او لا يتذوقوها .

كذلك من حقهم ان يصادقوا على رأى نزار قبانى « ان عصر الملاحم الشعرية ولى » ، او ان يختلفوا معه كما قد يختلف معه الكثيرون .

ولكن كل هذا لا يعفى « الجديد » ، التى لم تحاور الشاعر ولا تريد ان تحاور مواقفه

ـ كما نشرتها « الرابطة الثقافية » ، من أن تتوقف عند قضية على غاية من الاهمية ـ عند قضية اللغة العربية ، فتبدى رأيها فيها وتترك للقراء ان يستخلصوا النتائج .

ان اصرارنا على ابداء الرأى يعود الى اعتقادنا ان القضية جوهرية لا يصح اهمالها .

وهنا نود أن نعترض من ناحية ونوافق بتحفظ من ناحية ثانية .

واعتراضنا على التمييز ـ التعسفى فى رأينا ـ بين اللغة العربية واللغات الاوروبية والزعم بوجود « حفرة » فى اللغة العربية بين اللهجة « الدارجة » (أى لغة التعامل اليومى) واللغة الصحيحة . وقد اخترنا اصطلاح « اللغة الصحيحة » لا « اللغة الثالثة » التى يروج لها الشاعر نزار قبانى لان الواقع يثبت ان اللغة العربية فى تطورها ، احتفظت ، بجوهرها وبقوانينها الا انها تبلورت بتاثير المسيرة الحضارية فاشتقت مفردات وأساليب لا هى كلاسية متحجرة ولا هى « دارجة » دخلت عليها الوان انحطاطية .

وهذه اللغة العربية الصحيحة هى التى تتجمع تحت مظلتها اللغة التى تتداولها الصحف .. ويتعامل بها الادب العربى الحديث ..

وهذه اللغة العربية الصحيحة هى التى تنتشر فى العالم العربى من أقصاه الى اقصاه وتؤلف عاملا جوهريا من عوامل الوحدة العربية .

والحقيقة ان اللغات الاوروبية المعاصرة لا تختلف عن اللغة العربية فى هذا الامر .. فاللغة الانجليزية المعاصرة ـ لناخذ بريطانيا على سبيل المثال ، ليست لغة « شوسر » أو شكسبير ، بل لغة عصرية امتزجت فيها لغة شوسر وشكسبير باللهجة المتداولة ..

والخطيب الانكليزى اذا تحدث فى البرلمان يجد نفس الصعوبة التى يجدها الخطيب العربى حين يختار أن يتكلم باللغة العربية الصحيحة ..

ومن الممكن أن نجزم ان انتشار التعليم باللغة العربية الصحيحة ـ وهذا ما يتم بوتائر مختلفة فى الاقطار العربية ـ سينهى مع الزمن هذا التفاوت فى الحياة اليومية ولكنه لن ينهى التفاوت بين لغة الصحافة الصحيحة والادب .. فالادب ، فى سعيه وراء الجمالية والتالق اللفظى والفكرى ، سيحاول دائما التفوق الفنى .

أما موافقتنا المتحفظة فعلى تاكيد الشاعر نزار قبانى على ان الفكر الطبقى لا يمكن أن يطبق على اللغة .. وتحفظنا هامشى .. وهو على قوله انه يستعمل الكلمات بدون « تفرقة عنصرية » أو طبقية .

الحقيقة ان اللغة هى ظاهرة اجتماعية تتجاوز الطبقات ، على اعتبار انها وسيلة التعبير والتفاهم الاجتماعى .

ولهذا فانتقال المجتمعات من نظام سياسى اجتماعى معين الى نظام سياسى ـ اجتماعى آخر رافقه تغيير جذرى فى البناء الاقتصادى والسياسى والفكرى ولم يرافقه تغيير فى اللغة ..

فالثورة الفرنسية الكبرى فى عام ١٧٨٩ نقلت فرنسا من الاقطاعية الى الرأسمالية ولكنها لم تلغ اللغة الفرنسية .. ومثلها الثورة الاشتراكية الكبرى فى روسيا القيصرية التي حافظت على التراث الثقافى الانسانى فى اللغة الروسية .

ومع هذا فالثورة الاجتماعية تؤثر فى اللغة فى ميدانين :

أولا : هى تمنح بعض المصطلحات والمفردات معانى جديدة أو تشحنها بمعان اقرب الى

طبيعتها الاصيلة مثل « الدمقراطية » و « العدل » و « المساواة » ..

وثانيا : هى تختار تلك المصطلحات والمفردات التى تعرب عن حياتها وترفع المفردات التى اعتبرتها الانظمة الطبقية مفردات مبتذلة الى مكان الصدارة .

وبعد ، وما دمنا قد أوردنا هذه الملاحظات فعلينا أن نعترف ان الشاعر قبانى أسهم فى تحطيم أصنام التحجر اللغوى اولا .. وبعض المفاهيم الاجتماعية ثانيا .. ولعل أهم ما قام به فى الميدان الثانى دعوته الى اعادة المرأة الى مستواها الاجتماعى .. الانسانى .. فتحرير المرأة العربية تماما لا يزال احدى مهمات الثورة العربية من أجل التحرر القومى والاجتماعى .

الرابطة الثقافية : ما الذى حدث فاستطعت أن تخرج عن نطاق الشعر العامودى .. ما هى العبوات الناسفة التى كانت فى دخيلتك ، وفجرت أطواق الكلاسيكية ومكنتك من العبور الى « المعاصرة » ؟

نزار قبانى : فى الحقيقة ، لم اقتنع اذ ذاك بأن الشعر العربى التقليدى هو الممثل الحقيقى للشخصية العربية . قرأت ذلك الشعر فى حداثة سنى ما بين الثانية عشرة والسادسة عشرة . وشعرت فى غربة ، اى ان الشعر العربى ذاك لا يعبر عنى . يعنى / الفرزدق وابو تمام، وابو فراس ، وزهير بن أبى سلمى ، والنابغة ، هؤلاء ينتمون الى عصور لا أنتمى اليها . ليس هؤلاء فقط بل كنا نقرأ الشعر العربى حتى عصر النهضة . رايت أن شعر عصر النهضة لا يختلف من حيث النوعية ولا من حيث الشكل عما قرأنا من الشعر الجاهلى والاموى والعباسى . اهم ما لفت نظرى ، ان القصيدة العربية كانت خاضعة للنموذج العام . هذا النموذج العام للقصيدة ، ما كانت قادرة على الخروج منه . كان احساسى بأن كل الشعراء يكتبون فى صيغة واحدة ، وفق نموذج تاريخى عام لا يستطيعون تجاوزه ، اضرب لك مثالا : رغم أن شوقى عاش فى القاهرة ، فى مطلع هذا القرن ، الا ان قصائده كانت منقولة ، تقريبا بحذافيرها ، على ورق كربون ، عن شعراء امويين وعباسيين ... قصيدته فى رثاء أمه تشابه قصيدة المتنبى فى رثاء جدته من حيث الروى ، عندما ذهب الى اسبانيا ، كتب قصيدته على النموذج البحترى ، خمرياته تشابه الى حد بعيد خمريات أبى نواس . السؤال ، أين هو شوقى ... شوقى الموجود فى القرن العشرين ؟ ابدا ، لا تراه .

كنت اتضايق من هذا ... واشعر انه ليس لاحد الحق بأن يلبسنى قميصا غير القميص الذى أريد لبسه . الصياغات : كان عندنا جمل جاهزة للاستعمال بدون ان يسمح لنا بالخروج عنها . فبمقابل النموذج العام الذى رفضته ، أردت أن يكون هناك نموذج خاص بى ، انا خلقته .

موسيقى الشعرالعربى موسيقى جميلة ولا شك . بحور الخليل بن أحمد

بحور هامة جدا ، ومنوعة جدا . لكن كان السؤال الذى اطرحه فى شبابى الاول ، هل الموسيقى الشعرية ارث ابدى ام هى من صنعة الانسان ؟ هل هذه الموسيقى تسيطر على الانسان ام أن الانسان يسيطر على هذه الموسيقى ؟ لكننى عدت بعد مدة واكتشفت أن كل عصر له موسيقاه الشعرية . واذا جاز لنا أن نعقد مقارنة بسيطة ، فنحن العرب لا نملك من الموسيقى الا الربابة . فحين نصل اليوم الى أن نستعمل الاكورديون ، والابوا ، والبيانو ، وكل وسائل السيفونية المعاصرة ، ونطرب لها ، لماذا هذا لا ينسحب على الموسيقى الشعرية ... ؟

البحر الطويل ، ليس لى اعتراض عليه ، والبحر المديد ، ليس لى اعتراض عليه اطلاقا . لكن هل البحر الطويل ، مثلا هو الباب المختوم بالشمع الاحمر الذى لا أستطيع تجاوزه ؟ فأنا ، فى الحقيقة ، بدأت العب على البحور ، او العب على التفعيلة . ثملم اتقيد بأنه يجب ان يكون هنالك صدر مؤلف من ثلاث تفعيلات أو اربع يقابله عجز مماثل له فى عدد التفعيلات ، وانما سرحت حسب حريتى . نموذج بسيط : فى قصيدتى « رسالة من سيدة حاقدة » تبدأ :

« لا تدخلى » « مستفعلن »
وسددت فى وجهى الطريق بمرفقيك
(هل رايت ما اطول هذه الجملة الشعرية بمقابل المطلع ؟)
وزعمت لى « مستفعلن »
أن الرفاق أتوا اليك ... « مستفعلن متفاعلن »
اهم الرفاق اتوا اليك ؟
ام أن سيدة لديك
تحتل بعدى ساعديك ؟
وصرخت محتدما : قفى
والريح تمضغ معطفى ...

الى آخره ... اعتقد ان هذا فيه موسيقى اكثر من الموسيقى المفروضة علينا فى علم العروض ، لسبب وجيه التناظر SYMMETRY ما عاد صفة أساسية مطلوبة فى عصرنا . لم يعد شرطاان يكون هنالك توازن دائم فى الجملة الموسيقية ، اى صدر وعجز لكل بيت من الشعر . بالعكس ، عدم التوازن يحدث للانسان نوعا من الانكسار الداخلى ، او الانقطاع الذى يبعده عن الملل .

هذا عن الموسيقى ؛ اما اللغة ، فنعرف اننا كلنا نتمزق بين لغتين لغة نتكلمها فى المدرسة والجامعة ونكتب بها فروضنا المدرسية ، ولغة نلعب بها مع رفاقنا ونتحدث بها فى المقاهى ، ونعيش بها فى البيت ونخاطب بها أمهاتنا وآباءنا واخواتنا . هذا الوادى ، او الحفرة الكبيرة ، بين اللغتين . اعتقد انها اثرت تأثيرا كبيرا على عملية الابداع فى الادب العربى . ذلك لانه لو كنا نتكلم لغة واحدة ، مثل فرنسا او انجلترا ، اعتقد ان عملية الابداع كانت جرت بطريقة أسهل . لكن

مع الاسف الان ، نحن نترجم فى اغلب الاحيان تفكيرنا بالعامية الى العربية الفصحى . لذلك ، ليس عندنا خطباء ، يقفون على المنبر ويتحدثون ثلاث ساعات مثلا .. لان اللغة التى تلقى من فوق المنبر ليست هى اللغة التى يتكلمها الخطيب عادة ، هو يقف فيصطنع لغة ، او يترجم اللغة . بينما اى شخص انجليزى او فرنسي او اسبانى ، ينهض فى اجتماع عام ، وبدون ان يكون قد حضر كلمة مسبقا ، فيتحدث بسهولة . لان هؤلاء يمتلكون اللغة الموحدة التى يتكلمون بها ، ويعيشون بها ، ويعبرون بها عن احتياجات انفسهم . فأول ما فكرت بأن هذه اللغة الفصحى الاكاديمية لم تعد صالحة لى ، بعيدة ، هنالك غربة وبرود بينى وبينها . لذلك حاولت أن اكسر هذا الارهاب الذى فرضه القاموس العربى وأن استعمل اللغة اليومية التى يستعملها الناس ، دون اسفاف . فى الحقيقة ، اللغة التى استعملتها فى شعرى خلال الخمس والعشرين سنة السابقة هى « اللغة الثالثة » . . . فلا هى اللغة الاكاديمية فى كل جفافها ومحافظتها واسوارها الحجرية ، ولا هى اللغة العامية المنفلتة من كل الحدود والاصول . واعتقد ان هذه « اللغة الثالثة » هى لغة المستقبل الشعرى . فلو اخذت كل القصائد العربية المعاصرة ترى انها تستعمل هذه « اللغة الثالثة » .

يبدو لى أن هذه الامور التى ذكرت ، اللغة ، الموسيقى الجديدة ، حرية الشاعر ، المعاصرة ، الاتجاه الى هموم الناس ، عدم الكذب والنفاق فى التعبير .. أمور اخرجتنى عن نطاق القصيدة التقليدية ومكنتنى من العبور الى العصر الحديث . واعتقد ان نفس هذه الامور شائعة عند اكثرية الشعراء العرب اليوم ، وضمن هذه الحدود فان مستقبل الشعر العربى مستقبل جيد وسيقترب الشعر اكثر واكثر من الناس .

الرابطة الثقافية : نلاحظ انك أدخلت فى « قاموسك » الشعرى الفاظا من العامية بشكل ملفت للنظر ... الفاظا من مثل الجريدة وفنجان القهوة والسيكارة او الفاظا دارجة فى نطقها العامى ... فكيف تسنى لك ذلك ؟ ألم تخش أن يتسم شعرك من جراء ذلك بالاسفاف ؟

نزار قبانى : كل شاعر له قاموسه الخاص . يقولون عن شكسبير ان كل ما استعمله فى مسرحياته لم يتجاوز الالف ومئتى مفردة ... وهذا شكسبير الذى قرأته كل العصور وما زال باقيا فى ذهن البشرية الى الان . هنالك « حس الانتقاء » عند الشاعر . وكل شاعر بحكم ثقافته ودراسته وذوقه الشخصى ، له مجموعة من الكلمات يستعملها دائما ، مثل الانسان المعاصر ، له مجموعة من الالوان ينتقيها لبدلاته وقمصانه واثاث بيته ، كذلك باللغة ، يحدث مثل هذا . كل فرد ، فى حديثه اليومى مع الاخرين ، له نقاط يقف عليها ويرتكز . نقاط الارتكاز هذه هى مجموعة الفاظ خاصة به انتقاها بحكم تركيبه الذهنى .

وعني شخصيا ، هنالك مرحلتان . فى الماضي كنت أومن بلغة شعرية

منتقاة . كنت اقول ان بعض الكلمات مثل البترول والقيء والزهرى والسعال ... او اية الفاظ مرضية مثلا ، لا يجوز أن تستعمل اطلاقا ، لانها تهبط من مستوى الشعر . لكن بعد صدور ديوانى الثالث ، « أنت لى » ، بدات أشعر بعقم هذه النظرية . وصرت لااري بأسا من استعمال هذه الالفاظ . وصرت اومن بأن الفكر الطبقى لا يمكن ان يطبق على اللغة ، اى هنالك لفظة برجوازية وأخرى بروليتارية ، لفظة ملوكية ولفظة شعبية ... وابعد من ذلك ، صرت احس بسخف مثل هذه النظرة ، وبدات استعمل الكلمات بدون « تفرقة عنصرية » أو طبقية ، واكتشفت ان الشاعر هو الذى يحول الكلمة الى شعر ، والكلمة بحد ذاتها ليس لها طبقة ... الشاعر ، حسب براعته وموهبته ، يستطيع ان يستعمل الكلمة ، مهما بلغت رداءتها او عاميتها ، يضعها فى المكان المحدد فتصبح شعرا . الكلمة فى يد الشاعر عجينة طيعة ، وهو الذى يقدمها بالشكل الصحيح الذى يجعلها شعرية أو غير شعرية .

لذلك ، فى قصيدتى « هوامش على دفتر النكسة » ، استعملت « جيل القيء والزهرى والسعال » ... ووضعتها متتاليات ، ونفس اللفظات الثلاث ، كن مرفوضات بالنسبة لى قبل خمس عشرة سنة . والان أشعر ان اللغة عندى حقل كل ما فيه أن يكون فى خدمة الشعر ، وكل ما فيه يمكن أن يكون فى خدمة القضية وهموم الناس المعاصرين ... حتى قصائدى السياسية «الاستجواب» « المثلون » « خبز وحشيش وقمر » « الخطاب » ... كلها ، يمكن ، فتحت الآفاق العربية ودخلت كثيرا من الاماكن بسبب البساطة أولا ، واستعمال هذه الالفاظ اليومية التى يرددها الناس فى أحاديثهم السياسية ... اذا كنت تذكر فى قصيدة « المثلون » مثلا :

حرب حزيران انتهت ..
وضاع كل شىء ..
الشرف الرفيع ، والقلاع ، والحصون
والمال والبنون
لكننا .. باقون فى محطة الاذاعة :
« فاطمة تهدى الى والدها سلامها .. »
« وخالد يسال عن اعمامه فى غزة ...
وأين يقطنون .. »
« نفيسة قد وضعت مولودها .. »
« وسامر حاز على شهادة الكفاءة .. »
« فطمئنونا عنكم ، .. عنواننا المخيم التسعون .. »

هذا هو نفس الكلام الذى تردده محطات الاذاعة العربية حين تنقل رسائل المستمعين الى ذويهم العرب فى فلسطين المحتلة .. استطعت فى هذا الكلام ان

أكرس أو اثبت لغة شعرية كان من المستحيل تثبيتها قبل ذلك ، وكان هذا يعتبر نوعا من السقوط او التدهور الشعرى .

الرابطة الثقافية : اذن ، ما الفرق بين الانسان العادى الذى يقول هذا الكلام اليومى وبين الشاعر الذى يضع هذا الكلام اليومى فى الشعر ؟

نزار قباني : الشاعر هو الذى يعطى الكلمة ، الزخم الشعرى . مهما كانت الكلمة رديئة ، يستطيع الشاعر بقدرته ان يشحنها بالزخم الشعرى . يعنى / ما هو الشعر ... ؟ الشعر هو طريقة عرض . لماذا نرى شاعرا أفضل من شاعر ، وشاعرا يصل اكثر من شاعر ؟ لان كل البضاعة متشابهة ، كلنا نحمل نفس الافكار أخيرا . لكن فى النهاية تبقى العملية الشعرية طريقة عرض أكثر منها اى شىء آخر .

الرابطة الثقافية : ما دمنا فى الحديث عن « القاموس الشعرى » هنالك تساؤل وجيه . تكثر الالفاظ الدالة على الطبيعة فى شعرك ، مثل : أسماء الورود والاشجار والطيور ... والماء وما الى ذلك ، لكننا لا نرى لك قصائد مقصورة على وصف الطبيعة كفن شعرى أو موضوع خاص تتناوله فى شعرك . فما هو تعليلك لذلك ؟

نزار قباني : اهتمامى الاول هو الانسان والعلاقة الانسانية . الطبيعة بالنسبة لى لم تكن لولا الانسان ... كل هذه النجوم الطالعة ، والسماوات ، وكل هذه البحار ، كل هذه الاشجار ، والزهور والجداول والينابيع والرياح ، كلها لولا الانسان ما كان لها قيمة . الزهرة ، لولا أنف الانسان الذى يشتمها وعينه التي تراها ... اكانت ولدت وماتت دون أن يابه بها أحد . فأنا اعتقد بأن كل هذه الاشياء مصنوعة لخدمة الانسان ، النجوم التى فى السماء مصنوعة لتضىء لنا دروبنا أو تحمى سر العشاق . كل هذه الاشياء الطبيعية استعملتها فى شعرى ، كاضافيات فى خدمة العلاقة الانسانية . فمثلا عندما اقول لها:

يا شعرها على يدى
شلال ضوء أسود
ألمه سنابلا سنابلا
لم تحصد
او عندما اقول :
تعوّد شعرى الطويل عليك
تعوّدت أرخيه كل مساء
سنابل قمح على راحتيك
تعودت أتركه يا حبيبى

كنجمة صيف على كتفيك
فكيف تمل صداقة شعرى
وشعرى ترعرع كالطفل بين يديــك

فهنا استعمال ، سنابل القمح والنجوم ، كله فى خدمة شعــر الحبيبة ، وليس العكس . لذلك انا فى الواقع لا أومن بشعر الوصف ، لانه فن فوتوغرافي. الواحد يقف أمام شجرةمزهرة ، فيقول لها مثلا : مــا احلاك ، انت بيضـــاء ومتفتحة كانك وعروقك ثريا من الذهب . هذا نفى للعلاقة الانسانية . اية كاميرا ملونة تستطيع ان تصنع شيئا فى هذا المشهد اهم من شاعر يصف فوتوغرافيا . لا بد من ان يتدخل الانسانفى شعر الطبيعة .. يستعمل البحر لاغراض السفــن مثلا ، اى الرحيل الشعرى ... وبدون ذلك ، يكون هذا النوع من الشعر عملية نقل باهتة عن الطبيعة .

الرابطة الثقافية : هناك موضوع آخر يتردد فى شعرك ، كموضوع منفصل وكالفاظ أو مفردات تمت اليه بصلة ... « المرأة » . هل المرأة فى شعرك هى محور تدور حوله قصائدك الكثيرة ، ام انها مجرد موضوع شعرى تنفذ منه الى غيره كما شرحت عن «الطبيعة» ؟

نزار قبانى : « المرأة » فى شعرى وسيلة ، لتحقيق غاية اكبر . ليس فى الحياة شىء يعتبر هدفانهائيا الا القيم العالية .

وضعية المرأة فى عالمنا العربى ، كما تعرف ، وضعية غير صحيحـــة تاريخيا ... فيها ظلم اجتماعى كبير ... فيها ارهاب اجتماعى كبير ... وفيها ابتزاز اجتماعى كبير . ربما فى بداياتى الشعرية ، حاصرت المرأة جماليا ، اى ، لم تكن المرأة عندى قضية . كانت عبارة عن قطعة ديكور ، او آنية زينة او ورد، اضعها على طاولتى واملاها ماء واضع فيها زهرة الى ان تذبل فاغيرها وآتـى بسواها هذا الموقف املاه على فى الماضى ان طبيعة الحياة الاجتماعية فى المجتمع العربى ، طبيعة علاقتنا بالمرأة ، لم تكن تسمح لنا ان نتعامل معها الا بهـــذه الصيغة التجارية ، صيغة الشراء والبيع ... بعد ان ذهبت فى السلــك الدبلوماسى الى العالم الخارجى ، شعرت ان هذه النظرية مغلوطة . يبـــدو لى ان من لم يعرف المرأة ، من الحتمى ان يكتب عنها بهذا الشكل السطحـى الخارجى .لكن عندما بدات اخوض علاقات تتميز بطابعها الانسانى والفكرى ، وعندما استطعت ان ادخل فى حوارات مع المرأة دون ان تطغى عليها النزوات الجسدية ورائحة الجنس ، اكتشفت ان هنالك عالما آخر يجب ان يرصـــده الشعر ، وهو عالم المرأة من الداخل . ولذلك بدات اتنبه الى ان المـــرأة ، ولا سيما فى شرقنــا العربى ، هى ضحية نتيجة لخطــا تــاريخي لا بد للشعر من أن يصححه ومن هنا بدات عملية القتال فى سبيل اعادة المرأة الى معناهــــا

الحقيقى . بدون شك ، قاتلت على أرض صعبة فى سبيل هذه المرأة العربية التى كانت ضحية قرون وقرون ، ضحية لانياب الرجل ، وانياب الخرافة ، وأنياب الاقطاع ، وأنياب التملك ، كى اعيد اليها طمأنينتها ومستواها الانسانى. لذلك ، وابتداء بديوانى « قصائد » ، الذى صدر وانا فى لندن حوالى عام ١٩٥٥ ، تلاحظ فى شعرى انه اصبح لى موقف تجاه المرأة ، وتكرس هذا الموقف فى ديواني « يوميات امرأة لا مبالية » ، حيث تقمصت شخصية امرأة وكتبت بلسانها عن همومها ، وحاربت معها . ورغم ان المرأة فى بلادنا قد قطعت شوطا نحو التحرر ، لكننى أشعر حتى الان أن فمها ما زال مليئا بالقطن ، وشفتيها لا تزالان مغلقتين بالشمع الاحمر ، ولا يزال عندها نوع من الرعب الداخلى . ولا ادرى ما هو الزمن الذى ستستغرقه المرأة العربية لتصل الى المرحلة البشرية السوية للرجل العربى . واعتقد ايضا ان الرجل العربى يجب ان يتحرر ويتطور . فالمرأة بمفردها لا تستطيع ان تتحرر اذا لم يكن الرجل قادرا على استيعاب حريتها وتحضرها فأولا ، علينا ان نخرج الرجل من حظيرة الفكر الجاهلى ، وعليه تخرج المرأة اوتوماتيكيا من الصدفة التاريخية او من القمقم المسحور الذي حبسها الرجل فيه عشرات وعشرات القرون .

الرابطة الثقافية : اذن ، المرأة فى شعرك هي وسيلة تعبير عن فكرة اجتماعية مثالية كبرى ؟

نزار قباني : بكل تأكيد . هى وسيلة لاقامة مجتمع ليس فيه ظلم ، لا يتسلط فيه جنس على جنس آخر .

الرابطة الثقافية : هل يكون الجمهور ماثلا أمامك وأنت تكتب الشعر.

نزار قباني : تكون قضايا الجمهور وهمومه ماثلة امامى وانا اكتب الشعر . انا واحد من هؤلاء المئة والاربعين مليون عربى ، وواحد منهم ملاحق كل يوم بنشرات الاخبار ، والهزات السياسية ، والهموم القومية ، والحرائق التى تشتعل فى كل الوطن العربى ... فما أكتبه ، اذا كان خارجا عن نطاق هذه الحالات وهذه الحرائق ، أكون أعمى او متبلد الشعور والاحاسيس الى درجة الموت . الشاعر هو صورة لوجه بلاده وضمير امته ، فاذا لم ينتبه الى هذه الناحية ، ولم يستعمل فنه كواسطة للوصول الى هذه الامة ، والى وجدانها ، وما اضاء الشموع فى هذه الظلمة التى تكتنفها من كل الجهات ، أعتقد أنه حجر على قارعة الطريق ...

الرابطة الثقافية : تحدثنا سوية عن لغتك الشعرية ، ونخرج بنتيجة أنك مجدد فى هذا المنحى ... لك لغتك الشعرية الخاصة ، وهى « اللغة الثالثة » التى ذكرت لكن الشعر العربى المعاصر ، لم يخرج عن اللغة الشعرية

القديمة وحسب ، بل خرج على معمار القصيدة القديمة أيضا . وأنت تشير في احدى كتاباتك الى انك بدأت تكتب القصيدة « الانسيابية » أو القصيدة « المائية » كمعمار شعرى جديد . فهل لك أن توضح ما تعنيه ؟

نزار قبانى : يقتضى هذا السؤال أن اتحدث عن « الشكل الشعرى » ... أنا ، شخصيا، مررت بجميع مراحل الشكل الشعري، ابتداء بالقصيدة العمودية بشكلها التاريخى كما ورثناها ، وهذا فى بداياتى ، الى كتابى « ١٠٠ رسالة حب » الذى يتبنى ما يسمى الان بقصيدة النثر . انا أومن بأن الاشكال عملية تطورية . اى ليس فى الفن شكل نهائى ولا شكل مطلق . الاشكال يصنعها الانسان ويطورها يوميا . « وأنا كنت كل ربع ساعة امل من شكل كتبته قبل ربع ساعة » ... يدى كانت دائما بالصلصال الساخن ، وكأننى جالس فى مختبر ، لانه كان لدى قناعة بأن الشاعر الذى لا يغيرّ جلده ، لا يستطيع أن تكون له ديمومة شعرية ...

سألتنى عن قصائدى الاخيرة التى اسميها القصائد « الدائرية » أو «المائية» هذه القصائد اراحتنى . شعرت اننى بهذه القصائد أستطيع أن اعبر عن نفسى بدون توقف ، أو انقطاع . القافية كما نعرفها فى شعرنا العربى ، على جمالها ، هى عبارة عن اشارة مرور تقول لك « قف » عند الضوء الاحمر . وأمام هذه الاشارة ، الشاعر مضطر أن يتوقف وهو فى ذروة حماسه .. يكون الشاعر سائرا بسرعة ، وفجأة تبرز أمامه هذه اللافتة ، التى نسميها القافية . وتقول له : « قف ! » . القصيدة الدائرية هى محاولة لالغاء كل اشارات المرور الحمراء ... وتقول للشاعر تفضل ... مر دون توقف . بهذه القصائد ، شعرت أن القصيدة بدأت تأخذ بنية انسانية متكاملة حيث كل شيء فيها ملتحم ببعضه . قصيدتنا العربية القديمة ، كانت عبارة عن بناية كبيرة ، ممكن أن تتألف من خمسين أو ستين طبقة ، أو فى بعض الاحيان تصل الى مئة طبقة ، لكن بدون سلالم داخلية بين هذه الطبقات . اى كل بيت من الشعر يشكل طابقا منفصلا عن الآخرين . تصميم قصيدتنا العربية القديمة هندسيا ، كان تصميم قلاع العصور الوسطى . الان ، اذا جاز التمثيل ، لم يعد احد يبنى قلعة ويسكن فيها ... اتجاهات الناس الان مختلفة . هذه الايام تصلنا من السويد بيوت جاهزة من الخشب والكرتون ، يركبها الناس خلال ربع ساعة ويسكنونها وبالمقابل ، القصيدة من نفس المنطلق . يجب أن تراعى مقتضيات العصر وتنسجم مع ازياء العصر . القصيدة الان ممكن أن تأخذ شكل فيلا او شاليه على البحر .. ربما لا تكون بضخامة القلاع القديمة ، لكن الضخامة غير مطلوبة اليوم فى الشعر . ليس المطلوب من الشعر اليوم أن تنظم الملاحم ... عصر الملاحم ولى . المطلوب اليوم من الشعر ان يلامس نفس الانسان وعينه بلمسات انسانية خفيفة ويقنعك ، ويقدم لك الراحة النفسية . والان ، هذه وسيلة حضارية تتبعها القصيدة لكى تقنع الناس انها موجودة فى العصر .

الرابطة الثقافية : نستشف من هذا الذى سبق أن الشاعر نزار قبانى دائم

البحث عن أشكال جديدة أوعية لقصائده ، وان آخر هذه الاوعية هى القصيدة « المائية » أو « الدائرية » . « كتاب الحب » ، أحد دواوينك ، صدر عام ١٩٧٠ ... وهو شكل شعرى محير . هل هو قصيدة واحدة ذات مقاطع متتالية، أم هو رباعيات على الطرز الحديث ...؟

نزار قبانى : « كتاب الحب » محاولة لقص جميع الزوائد الدودية فى اللغة العربية . القصيدة العربية العامودية تتألف من مئة بيت ... يكون واحد فقط منها ... او خمسة أبيات فقط ... تشكل الذروة الشعرية ...
أما الباقى كله فيكون حشوا .... اى باقى المئة بيت تكون عبارة عن قطع غيار مالها قيمة فى حركة القصيدة ... اذا جاز لنا تشبيه القصيدة بالسيارة ... ترى كل هذه الابيات الهامشية لا تقدم ولا تؤخر فى حركة السيارة ... او فى حركة القصيدة .. يمر الشاعر ، وهو يكتب القصيدة ، بثوان تشبه الكشف الصوفى .. هذه الثوانى التى تنكشف خلالها السماء أمامه .. او تنكشف اعماق نفسه ... يكتب فيها أحلى بيت فى القصيدة ... او احلى بيتين او ثلاثة . بعد ذلك ، تغلق الستارة ، او نوافذ السماء ، أمامه ، ويعود الى النثر ... **يبدأ الشاعر ينثر** الكلام . بيد ان الموسيقى ما زالت ترن فيه ، وبحكم الاستمرارية ، يبدا الشاعر يعبىء الفجوات التى فى القصيدة . فاذا كان شاعر مناسبات ، يقول لنفسه : « مطلوب منى ان انشد ، مثلا نصف ساعة » ! ويبدأ يركز القصيدة على أساس الساعات السويسرية ... ويضحى الشاعر خادما للزمن ، يعمل على سد رقعة الزمن بمادة طولها نصف ساعة بمثل هذا التدبير الذى أسميه « كلاما فارغا » تتحدد أطوال القصائد العربية العامودية .

فى « كتاب الحب » ، حاولت ان انهى كل ذلك . فقد قررت ان اكتب بيتا واحدا ، سميته قصيدة ، وهو الذى تكون فيه القصيدة فى ذروتها الشعرية .. اى هو ساعة الكشف . والغيت كل اللحظات النثرية التى تمر بالشاعر وتضطره الى أن يرقع ويسد فجوات . مثلا ، عندما اقول فى « كتاب الحب » :

ما دمت يا عصفورتى الخضراء
حبيبتى
اذن ... فان الله فى السماء

اعتقد انه لا يمكن اضافة شىء اطلاقا . هذا كلام انتهى واخذ موقعه من التاريخ ومن نفس الحبيبة ولم يعد امكانية لاية اضافة . ومثال آخر :

اشكوك للسماء
اشكوك للسماء
كيف استطعت ، كيف ، ان تختصرى
جميع ما فى الأرض من نساء

كذلك ، هذا الكلام لا يحتمل أية اضافة .
الحقيقة ، اننى أول ما كتبت « كتاب الحب » ، خفت ان القيه . فى اول

امسية شعرية ، جربت هذا الكلام فى الناس ، اضطررت الى الشرح . كان الناس ينظرون الى فى آخر كل مقطع كأنما يطلبون المزيد ... وصرت اقول : « خلص » ... « انتهت » ... لكن ، يبدو لي ان الناس ، او المتذوق العادى ، قادرون بسرعة جدا على تبنى المواقف الجديدة ، والتعود عليها . وهأنذا اليوم ، فى كل امسية شعرية اطالب بان اقرا مقاطع من « كتاب الحب » .

وشيء آخر جدير بالملاحظة . الاذن العربية متعودة على الطرب « الطويل النفس » ... الموشحات والمواويل والعتابا والميجانا ... وكلها تستغرق زمنا طويلا لسماعها . لكن كيف تظن جمهور المستمعين يتصرف عندما يسمع للوهلة الاولى شيئا مثل :

حبك يا عميقة العينين
تطرف
تصوف
عبادة
حبك مثل الموت والولاده
صعب بان يعاد مرتين

هذه فى عرف الموشحات والمطولات مجرد « دخلة » او مثل :

عشرين الف امراة أحببت ..
عشرين الف امراة جربت ..
وعندما التقيت فيك يا حبيبتى
شعرت اننى .. الان قد بدات .

بكل بساطة ، « كتاب الحب » محاولة ، مجرد محاولة . فلتضف الى جميع المحاولات فى الادب العربى ، فى سبيل ان نمنع عمليات التكلس الشعرية وان نمنع بقاءنا فى مكاننا ، وان نقاوم نمو الطحالب الشعرية على اجسادنا .

(الانســــان والثقــافة والحضــارة ـ بقيــــة)

ولقد اعطى هذا الشعب الصغير اختصاصيين عديدين منهم المهندسون الزراعيون والفنيون فى التدجين والمدرسون والاطباء والمهندسون والكتاب وتوصل الى ان يصدر مئات الكتب كل عام باللغة المانسية . وبالرغم من ان التفاوت بين الحضارات القومية له اهمية كبرى فنحن نلحظ ميلا لتخفيف هذا التفاوت وبالتالي لتوحيد مستوى الحضارات المختلفة واصبح سير التطور سريعا بشكل خاص ،فى البلدان الاشتراكية . ونحن لم نعد نجد فى جميع المعمورة ، كما كان الامر فى القرن التاسع عشر ، انظمة قبلية او عائلية فى حالتها « الفطرية » .

امـا من جهة ثانية فانطلاقة حضارة الشعوب التي كانت متخلفة بالامس اصبحت تحفزا مندفعا . وهذه الانطلاقــة ادت الى ظهور نمــاذج حضــارية « وسيطة » (تسمى هامشية) جعلت وضع لوحة شاملة للحضارة العالمية اكثر تعقيدا . وهكذا يقودنا الاتجاه الثاني الى تدعيم الحضارات القومية والى ظهور انماط جديدة لهذه الحضارات فالمؤرخ المعاصر الذي يتجاهل هذا الاتجاه يقع فى التعميم ويستعصي عليه فهم تشعب الحضارة العالمية فى ايامنا هذه .

ان الثورة العلمية والتقنية قد استبدلت كليا آلات العمل القديمــــة ووسائله باجهزة ميكانيكية اوتوماتيكية . ويمكننا القول دون خوف فى الوقوع فى المبالغة **ان الانسانية قد استحدثت فى سبعين سنة من هذا العصر نمـاذج وطرازات جديدة (خاصة فى ميدان العلم والتقنية) اكثر مما استحدثت عبر تاريـخ الانسانية بأسره .**

والسبعون سنة المنصرمة هي وثبـة هائلة فى ميدان التطور الحضـاري والثقافي . ولكن انطلاقة المكننة الاوتوماتيكية السريعة فى ميدان العلم والتقنية قد احدثت فى الوقت ذاته تفاوتا هائلا بين تطور مختلف المظاهر الثقافية . لا يمكن لعلم الاخلاق ، والفنون الجميلة ولا مظاهر الحياة الفكريـة ، ان تفتخر بانتصارات هي بذات الاهمية وبذات السرعة التي لانتصارات العلم . وليس من باب المصادفة **تسمية القرن العشرين « قرن العلم »**ولكن المسالة ليست مسألة كمية فقط . فى مجال الاختراعات العلمية فان هذه الاختراعات لهـا اهميـة أساسية وتستدعي بالتالي اعادة النظر فى المفاهيم الكونية التي تركزت فى قرون عديدة . وهذه الاكتشافات ذاتها هي التي استدعت ظهور علـوم جديدة كعلم الاحيـائية ــ الاليـة **« سيبرنيتيك »** وعلم الوراثة **« جينيتيك »** اللذين احتلا المرتبة الاولى من المعرفة الانسانية .

وقد احدث هذا التطور الهائل فى ميدان العلم والتقنية نظرية **« تقهقـر الثقافة »** او بالاحرى تخلف مظاهر الثقافة الاخرى بالنسبة الى العلوم . زد على ذلك ايضـا ان بعض علماء الثقافة يعتبرون نجاح العلم خطرا على الثقافة وخاصة على علم الاخلاق وعلى الفنون الجميلة . وهكذا ولدت فكرة كثيرا ما تتردد فى

مؤلفات الباحثين المعاصرين هي **فكرة التفاوت والانفصال بين الحضارة والثقافة الروحية** . ولا يبدو لنا طرح المشكلة بهذا الشكل صحيحا ، فالاصح هو الكلام على التفاوت في ايقاعات تطور الثقافة المادية والثقافة الفكرية التي هي جزء لا يتجزأ من الحضارة . وليس المقصود هنا تقدم العام والتقنية على مظاهر الثقافة الاخرى وعلى طريقة الحياة وعلى نفسية الانسان المعاصر .

وهنا يبرز تناقض اخر يتميز به عصرنا الديناميكي :

أ ـ التطور العلمي والتقني يسهم في انطلاق الثقافة ونموها .

ب ـ يؤدي التطور العلمي والتقني الى التفاوت بين مختلف المظاهر الثقافية .

والفرضية الثانية حقيقة لا نزاع فيها . ولكن هل باستطاعتنا ان نعلل هذا التفاوت بانه « **تقهقر ثقافي** » ؟ نجيب بالنفي . أولا ، لان العلم جزء مكمل للثقافة وبالتالي فان تطوراته هي تطورات ثقافية (وهذا ما تثبته الفرضية الاولى) . ثانيا ، لان هنالك ابدا تفاوتا في تطور مختلف المظاهر الثقافية ويمكننا ان نشير هنا الى المرحلة **الهلينية** او الى تقدم الفلسفة وازدهارها في **المانيا** في اوائل القرن التاسع عشر . وهذا التقدم الذي تجلى باحدى المظاهر الثقافية دون غيرها لم يؤد قط الى انحطاط هذه الثقافة . ولهذا السبب نشك في تحقق التكهنات المشؤومة المرتبطة بتطور العلم . واخيرا فان انسجام التطور الثقافي او تفاوته لا يرتبط فقط بقوانينه الداخلية ولكنه يرتبط قبل كل شيء بالنظام **الاقتصادي** وبقدرة المجتمع على التنبوء بنتائج التقنية السلبية واتخاذ التدابير الوقائية لها .

فالتناقض والتفاوت في تطور مختلف المظاهر الثقافية سواء كانت مادية او فكرية ليسا مهدمين ولا نستطيع ان نتحاشاهما . فتنسيق سير التطور الثقافي مرتبط بالنظام الاقتصادي ـ السياسي ـ الاجتماعي كما انه مرتبط بنشاط المجتمع وطاقته على التنبوء بتطور متزن احادي الشكل في مختلف المظاهر الثقافية .

ان اتجاه المرحلة الحالية هو توفيق مستمر بين مظهري الثقافة المادي والفكري وتدعيم لتداخل العلم والفن والاخلاق من جهة والنشاطات المادية العلمية وثقافة الانتاج والعمل من جهة اخرى . ان الحدود القائمة بين الثقافة المادية والثقافية الفكرية تصبح آنذاك اكثر مرونة وغموضا فجزء من الثقافة الفكرية كالعلم مثلا يصبح في الوقت نفسه عاملا مهما في تطور الثقافة المادية وتكتسب عملية انتاج القيم الفكرية طابعا صناعيا واضحا . ويسمح لنا درس هذه العمليات درسا علميا ان نكشف مناحي التطور الثقافي الفكري . نقول التطور ولا نقول غياب الثقافة نتيجة للنجاح الهائل الذي يحققه العام والتقنية .

والتخوف من « **المنظم ـ الروبوط** » كالتخوف من مكتسبات العلوم الاخرى، مرتبط باحتمال احلال الاوتوماتيكية احلالا كليا مكان الانسان (على الاقل

في ميدان الانتاج المادي والفكري) . حتى ان الازدهار المادي لا يعود باستطاعته ، حسب راي بعض علماء الثقافة المستقبليين ، ان يخلص الانسانية في حال حدوث انفصام بين توازن نظام « العمل ـ الراحة » وتزايد ايام الراحة حتى لا تعود خاضعة لاية رقابة . وما هو انحطاط الثقافة الحقيقي ان لم يكن ملء ايام طويلة بالفراغ واستهلاك « الثقافة الجماهيرية » ؟

الحياة نفسها كفيلة بدحض هذه التخوفات . وتجربة البلدان التي هي في خضم التطور والنمو تبرهن باستعمالها الانسان الآلي ان الآلية لا تقود الى التقليل من قيمة العمل (على الاقل في مستقبل مرئي ظاهر) . وهذه التجربة تقودنا الى اعادة توزيع اليد العاملة فارضة بذلك اكثر فأكثر مهارة هذه اليد واقل فاقل عمالا دون اختصاص . ولكن هذا التوزيع لا يقلل من اهمية عمل الانسان عامة بل يزيد من قيمته . فالاحصاءات الامريكية تدل على ان بين سنتي ١٩٥٨ و ١٩٦٨ ازداد عدد العمال في لصناعة الالكترونية أكثر من ضعفين. وان هذا العدد تضاعف ايضا في التنظيم الصناعي . وازداد عدد العمال اكثر من النصف في صناعة المواد البلاستيكية والآلات التحليلية . فعدد المهندسين العاملين في حقل الانتاج يتزايد باضطراد في البلدان النامية كما ان عدد الباحثين العلميين يتضاعف كل عشر سنوات . فالتجربة تؤكد ان الآلية لا تسوغ التكهنات التشاؤمية في انحطاط قيمة العمل الانساني .

واخيرا ان هذا التخوف من العلم والتقنية آت من وسائل الابادة الجماعية ومن القوة الهائلة التي اعدتها هذه الوسائل ، فلو بقي انتاج أسلحة الابادة الجماعية محافظا على نفس الانتظام التطوري ، تصبح الانسانية قادرة على تدمير كل ما هو كائن وبالتالي على تدمير ذاتها وجمع قيمتها الثقافية ، ومن المؤكد ان هذا الخطر واقع ي. ولكن قوة جميع الناس متحدين وقوة ادراكهم وارادتهم تستطيع ان تتلافى هذا الخطر وان توجه قوة الذرة نحو أهداف سامية .

وترانا نعود من جديد الى الانسان ، فالواقع ان مصير الحضارة بين يديه . فالانسان هو الذي اوجد كل القيم الثقافية والحضارية والحفاظ على هذه القيم وصيانتها والعمل على ازدهارها منوط به فالتقدم الحضاري يصبح مستعصيا ومستحيلا الا اذا كان مرتبطا بتفتح الشخصية الانسانية . ولقد كتب الشاعر السوفييتي اندريه **فوزنيسنسكي** يقول :

« كل تقدم رجعي

حين يكون الانسان منسحقاً »

هذه الكلمات تستوجب ملاحظة وحيدة هي انه ليس هنالك تقدم رجعي ، فالتقدم الذي لا يحمل للانسانية الا الانحطاط والتقهقر والذي يلحق ضررا بتراث الانسانية الثقافي لا يمكن ان ينعت بالتقدمية .

حرصنا ان نظهر في هذه المحاولة ان في تطور الثقافة والحضارة كثيرا من التناقض كما انه مرتبط جذريا بمعضلات وصفناها بأنها معضلات ثقافية فالحل او الطريق الذي يجب ان نتبعه للتخلص من هذه التناقضات ينبثق من النشاط التطبيقي للانسان الذي يحول العالم والذي يخلق الثقافة والحضارة ويغيرهما .

اشـــــارات :

❊ كاتب هذه الدراسة ليف كوغان ، رئيس قسم السوسيولوجيا في المركز العلمي بالاورال ، وعضـو أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي . وهو استاذ في جامعة غوركي بالاورال في سفيردلوفسك ، حائز على جائزة الدكتوراة في الفلسفة . له مؤلفات عديدة في العلوم الاجتماعية والجمـاليـات .

❊ نشرت الدراسة في مجلة « ديوجين » الفرنسية ، وترجمها الى العربية رشيد حبشي ونشرتها مجلة « مواقف » اللبنانية .

الانتداب (٦) . أما القيّم على أملاك الغائبين فى اسرائيل فتقديره ان مليونين ونصف المليون من الدونمات من مجموع اربعة ملايين دونم فى حوزته هي اراضي مفتلحة (٧) ، بينما تقرير لجنة التوفيق الدولية يشير بأن مساحة الاراضي المفتاحة التي فى حوزة حارس املاك الغائبين الاسرائيلي هي (٤،٥٧٤،٠٠٠) دونم . ولا يقدم تقدير القيم تفسيرا لهذا التباين فى الارقام التي يوردها مقابل ارقام لجنة التوفيق .

ومهمايكن من امر فان تقدير لجنة التوفيق الدولية يبرز ان مجموع الاراضي التي استولت عليها اسرائيل من الاملاك التي اعتبرت اصحابها غائبين تبلغ (١٦،٣٢٤،٠٠٠) دونم ، بما فى ذلك معظم اراضي النقب .

ويستخلص دون بيرتس فى كتابه « عرب اسرائيل » ، اعتمادا على احصاءات لجنة التوفيق الدولية ان الاراضي التي استولت عليها اسرائيل فى النقب تبلغ (١٢،١٣٨،٠٠٠) دونم من الاراضي المتروكة منها (١،٨٣٥،٠٠٠) دونم اراضي زراعية . ويكون مجموع الاراضي الزراعية اتي استولت عايها اسرائيـــل من املاك اللاجئين اكثر من (٤،٥٠٠،٠٠٠) دونم .

ولم تقتصر عماية الاستيلاء على الاراضي ، بوضع اليد على املاك الغائبين، ولا على املاك حكومة الانتداب وما ورثته من الحكم العثماني وتقدر هذه الاملاك بين ٢ الى ٣ مليون دونم وكانت تدعى ارض الجفتلك ، بل امتدت الى اراضي وقرى العرب الذين بقوا فى اسرائيل .

وفى السنوات الاولى منذ قيام الدولة شردت حكومة اسرائيل سكان قرى صفورية واقرث وكفر برعم ومعاول والمجيدل والدامون والبروة وشعب وميعار وغيرها . كما شردت سكان مجدل عسقلان فى الخمسينات واستولت على قراهم واراضيهم . وكانت حجة السلطة لتشريد سكان هذه القرى ، هي الابعاد الموقت عن القرى لغرض المناورات على ان تتم اعادتهم بعد اسابيع . هكذا قيل مثلا لاهالي قرية صفورية الذين لم يؤمنوا بهذا الكلام ولكن اجلاءهم عن القرية جرى بالقوة ، كذلك قيل لاهالي اقرث وكفر برعم وغيرهما .

لم يكن « التطوير » هو غاية الحكومة من الاستيلاء على الارض . لم يكن الهدف تقويض اركان الاقطاع العربي ، كما لا تزال السلطات تزعم حتى اليوم ، بل « انقاذ » الارض ، اي انقاذها من يد اصحابها العرب . المؤسسات اليهودية التي كانت تشتري ارض العرب ، الكيرن كايمت والبيكا ، اشترت الارض لتكون « ملكا للشعب اليهودي » ، وهذه الاراضي يجوز بيعها لليهود فقط ولا يجوز بيعها (لغير اليهود) . وكان على هذه المؤسسة ان تنتهج سياسة ، بالنسبة للارض ، تعبر عن جانب من السياسة الصهيونية . وكان على الكيرن كايمت ان تجند الاموال لهذا الفرض .. (٨) (راجع هوروفتس وليسك) !!

ويبدو ان اية محاولة ، مهما تكن صغيرة ، للتصرف بصورة معاكسة بالعملية المركزية التي تمسكت بها الصهيونية باقصى شدة ، كالتخلي عما جرى تحقيقه

كمكسب صهيوني (مثل ارجاع ارض لايد غير يهودية. او الغاء نقطة استيطانية وغير ذلك) . ان مثل هذا التخلي يعتبر هزيمة اكبر بكثير من بطء وتأثر عمليات الاستيلاء على الارض ... القلق من خطر اعادة وضع الى عهده السابق (مثل ارجاع حقوق اهالي قريتي اقرث وكفر برعم – ص. خ) اعتبره صحفي اسرائيلي (زئيف شيف، « هآرتس » ١١\٨\٧٢) « تقويض الاستيطان الصهيوني » . لانه « يفتح الثغرة الاولى لتداعي البناء كله » (٩) .

لقد احس عرب فلسطين بهذا الخطر، قبل مطلع القرن الحالي .. فاحتجوا على تصرفات الحكم العثماني، الذي كان احيانا يقوم بدور الوسيط فى تسريب الاراضي من العرب الى اليهود .. وقاوم العرب فى زمن الانتداب بيع الاراضي لليهود، مما اضطر حكومة الانتداب الى وضع قيود على البيع، وتحريمه فى مناطق معينة من البلاد .

وشعور الفلاح الفلسطيني بهذا الخطر، دفعه الى اللجوء الى عدد من الوسائل لحماية ارضه، مثل جعل مساحات واسعة من اراضي القرى العربية مشاعاً بين سكان القرية، على الرغم مما فى تشييع الارض من مشاكل ومن اضرار بالزراعة احيانا .. ولكن هذا الاسلوب من ملكية الارض كانت تفرضه مخاوف تسرب الارض لايد يهودية .

« بالنسبة لاقسام معينة من الارض .. اختار العرب هذا الاسلوب من الملكية (المشاع) ... على ما فيه من مساوىء للتطوير، كحاجز ضد انتقال ملكية (الارض لايد يهودية) ولاسباب سياسية لم ترغب الحكومة فى الغاء هذا الاسلوب بواسطة القانون » (١٠) .

وفى سنوات ١٩٣٤/١٩٣٥ كان لا يزال حوالي ٤٠٪ من الفلاحين العرب يفلحون اراض مشاعية كانت تبلغ مساحتها حوالي ٢٥٪ من الارض الزراعية التي يملكها العرب .

واستخدمت الصهيونية السماسرة اليهود والعرب لاغراء اصحاب الارض، ببيع اراضيهم لليهود اما مباشرة، او بيعها لسماسرة عرب الى ان تحين الفرص لنقلها الى ملكية الكيرن كاييمت . وفى الثلاثينات والاربعينات هب المثقفون والكتاب والشعراء العرب لمقاومة سياسة تسريب الارض الى اليهود .. واصبح الدفاع عن الارض جزءا من الفولكلور العربي .. وجعل ابراهيم طوقان وجه السمسار رمزا للخيانة والصفاقة :

« لك وجه سمسار ..... »

حكم عسكري واصطياد الارض

وجد العرب الذين بقوا فى اسرائيل، انفسهم فى ظل حكم عسكري شديد الوطأة .. وكان هذا الحكم العسكري يستهدف امرين : اولهما اقامة الحواجز بين

العرب وبين اراضيهم وقراهم . وثانيهما تسهيل مهمة الشركات اليهودية ودائرة اراضي اسرائيل الاستيلاء على اراضي العرب وتنفيذ مشاريع الاستيطان في القرى العربية وعلى الاراضي التي يُجلى أصحابها عنها . وقد وجه الحكم العسكري جزءا كبيرا من اهتمامه لابعاد العرب عن اراضيهم وبالتـــالي ابعادهم الى خلف خطوط وقف اطلاق النار حيث امكن ، بغرض تنظيف مناطق الحدود من العرب.

وليس مشروع تهويد الجليل ، الذي ينهمك حكام اسرائيل في تنفيذه الآن ، بأمر جديد ، بل انه هدف من أهداف الاستيطان الصهيوني ، قبل قيام دولـــة اسرائيل . وقـــد لخص اوشسكين هذا الهدف في خطاب القـــاه امـــام اللجنة التنفيذية الصهيونية عام ١٩٣٧ على الوجه التالي :

« ... علينا ان نبذل جهدا للاستيلاء على مواقع بعيـــدة عن مراكز الاستيطان ، لضمان اوسع الحـــدود لبلادنـــا . ولما وضعنـــا البرامج لشراء الارض كان هذا الهدف (؟) دائما نصب أعيننــــا : الاستيلاء على مناطق بعيدة .. ففضــلا عن جودة الارض كانت تحركنا الرغبة لتوسيع الحدود مهما تبلغ المصاعب . وعلينــــا ان نتذكر ان قسما معروفا من مستوطنات ديغانيا موجود عبر النهر ، وعلى الرغم من ذلك فهو بأيدينا . هذا هو الاحتلال الحقيقي للحدود من الوجهة السياسية . وعلى اساس هذا المفهوم قررت الكيرن كاييمت في السنة الاخيرة توسيع نشاطهـــا كي تضمن بأقصى سرعة ممكنة ، والى الحد الذي تستطيع الوصول اليـــه ، الحدود في الشمال والشرق ... فليس مسألة الزراعة هي ما نصبوا اليه، بل اننا نطمع ، بالدرجة الاولى بأن نضمن للأمة ، اوسع الحدود الممكنة لبلادنا » (١١) .

وكان معروفا قبل صدور قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ ، ان الجليل سيكون خارج حدود الدولة اليهودية .. ولكن الحركة الصهيونية كانت تعـــد العـــدة للاستيلاء على الجليل ، قبل قيام الدولة . وكان هذا الهدف ، موضـــع نقـــاش في الحركة الصهيونية . انتصرت فيه آراء دعاة استيطان الجليـــــل ، خصوصا هؤلاء الذين كانوا يمثلون «اليسار» الصهيوني او الحركة العمالية الصهيونية .
فالقضية التي نواجهها الآن في الجليل ليست مسألة تطوير ، بل مســـألـــة تحقيق الهدف الصهيوني الذي حدده بن غوريون كما يلي :

« الاستيطان نفسه هو الذي يقرر اذا كان علينا ان ندافع عن الجليل أم لا . هذا يتعلق بالناس الذين يشعرون بالواجب ويريدون الدفاع عنه . يقولون (جابوتنسكي) ان هذه هي مسألة دبلوماسية ، مسألة العلاقات مع العرب (وفي الجلسة نفسها تسرب القلق الى ان مسألة الدفـــاع عن المستوطنات في الجليل قد تتحول الى حرب شاملة مع العرب) . فالسؤال ليس دبلوماسيا (أي العلاقات مع بريطانيا) وليس مـــع العرب ايضا .

هذه مسالة صهيونية بحتة ... مسالة تتعلق بالناس الـذين يشعرون بالواجب ويريدون الدفاع » .

ويستطرد بن غوريون فى الموضوع نفسه :

« مئات الناس يستطيعون الدفاع عن مواقعنا فى الجليل ، طبعا اذا يؤمن لهم الغـذاء وما الى ذلك ، واذا ما تلقوا العون السياسي . وواضح بدون هذا يكون الوضع صعبا . ولكن هذا كلهناخـذه على عاتقنا (نحن العمال) . فطالما نستطيع الدفـاع ـ واجبنا ان ندافـع والا نترك مواقعنا » (١٢) .

مما ذكر اعلاه يتضح ان قرارات الحكومة ، فى ١٩٧٦ ، لمصادرة الاراضي فى الجليل ، لا علاقة لها بالتطوير .. خصوصا فى وقت تعاني فيه الدولة أزمـة اقتصادية وازمة هجرة فى آن واحد . ان التستر وراء اسم « التطـوير » هو للتستر على الهدف الحقيقي للمصادرة ، بعد ان أصبح العالم شديد الحساسية للوضع فى المنطقة بوجه عام والنزاع الاسرائيلي ـ العربي بوجه خاص .

لقد احتلت اسرائيل اقسام الجليل التي لم تكن مخصصة للدولة اليهودية حسب قرار التقسيم ، فى سنة ١٩٤٨ ، وضمتها الى اسرائيل بحق الفتح .. وكانت المنطقة التي دخلت تحت الحكم الاسرائيلي ذات اغلبية سكانية عربية ولا تزال حتى يومنا هذا . ولتغيير هذه الحقيقة يطرح حكام اسرائيل اليوم مسالـة تنفيذ مشروع التهويد الصهيوني باسماء مختلفة مثل « التطوير » و « توزيـع السكان » ..

ومهما تكن نوايا حكام اسرائيل ، فلا يمكن تجاهل الحقوق القومية للعرب الذين بقوا تحت حكم اسرائيل .. وفى الدرجـة الاولى حقهم فى الاحتفـاظ بأملاكهم وبأراضيهم .

والنزاع بين حكام اسرائيل والعرب الذين بقوا فى اسرائيل ، منذ الساعات الاولى لقيام الدولة هو حول حق العرب فى الاحتفاظ باراضيهم ، هذا الحـق الذي ينكره عليهم حكام اسرائيل .

ويستخدم حكام اسرائيـل سلاح التهديـد للعرب الذين يدافعون عن اراضيهم واتهامهم بالعداء للدولة ، وبالميول الانفصالية... ويتبعون هذا التهديد بأعمال القمع والتنكيل والمطاردة والتشريد لتحطيم مقاومـة العرب لسياسة الاستيلاء على الارض التي يملكونها ، او ما تبقى منها بعد حمـلات المصادرة الواسعة .

بموضوعيـة شعب سحقته المؤامرات وعـدوان الامبريالية واعوانهـا ـ الحركة الصهيونية والرجعية العربية ـ اصبح شعبنا على قناعة ـ قناعة موضوعية جدا ـ ان الحل لمشاكله ليس برفع شعار الانفصال عن اسرائيل ، بل بتسوية

عادلة للنزاع الاسرائيلي ـ العربي بمجمله .. تسوية تقوم على الانسحاب الكامل من المناطق التي احتلتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، والاعتراف بحق الشعب العربي الفلسطيني باقامة دولته المستقلة في المناطق التي تنسحب منها اسرائيل ، وكذلك الاعتراف بحق اللاجئين العرب في العودة او قبول التعويض .

وحين يطرح حكام اسرائيل قضية ولاء العرب في اسرائيل الدولة ، فلا يستطيع العرب فهم هذا الولاء الا انه مسالة الدفاع عن اراضيهم بالدرجة الاولى ، والالتزام بالواجبات تجاه السلطة التي تحكمهم على اساس تحقيق المساواة التامة للعرب في اسرائيل .

ان امعان حكام اسرائيل في تنفيذ سياسة الاستيلاء على الارض ، وتحويل العرب في اسرائيل الى اقلية مجردة من الارض ، ما هو الا عملية تذويب ، بل عملية القضاء على الكيان القومي للعرب ، واهم ما يبرز في السياسة الرسمية اليوم هو أخذ الارض بدون عرب واعتبار العرب ، مجرد اقلية ، وليس اقلية قومية .

ومهما تكن السياسة الصهيونية ، فان لكل اقلية قومية حقوقا قومية فضلا عن الحقوق اليومية . ويحاول حكام اسرائيل ، بشتى الوسائل ، واشدها بطشا ، تجريد العرب في اسرائيل من حقوقهم القومية ، وتحويلهم الى اقلية ثقافية ـ دينية .

وقد اعترف مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، شموئيل طوليدانو ، بان سياسة الحكومة تجاه العرب في اسرائيل تطمس الفوارق بينهم وبين سكان المناطق المحتلة ، من حيث موقف الدولة منهم .

ومن الطبيعي ان النتائج المترتبة على هذه السياسة ، هي من صنع حكام اسرائيل انفسهم وهم يتحملون مسؤوليتها حتى النهاية .

مشروع التطوير ـ تهويد الارض

بعد موجة مصادرة الاراضي في الخمسينات ، من اصحابها العرب ، الذين بقوا في اسرائيل ، ذكرت المصادر الحكومية في عام ١٩٥٧ ان القرى العربية تستثمر زهاء ١٠٢٥،٠٠٠ دونم من الاراضي التي يملكونها ، وحوالي نصف مليون دونم من املاك الدولة (١٣) .

لاضفاء صفة قانونية على استملاك الاراضي التي استولت عليها الحكومة من املاك الغائبين ، سنت قانون استملاك الاراضي (تصديق الاجراءات والتعويض) في عام ١٩٥٣ . وبموجب هذا القانون ، أقرت الحكومة التعويضات لاصحاب الاراضي العرب الذين صادرت اراضيهم في اسرائيل . وعلى الرغم من صعوبة تدقيق مساحة الاراضي التي صودرت من العرب في اسرائيل ، فان بعض المصادر الرسمية تضع هذا الرقم بين ٣٠٠،٠٠٠ و ١٠٠،٠٠٠ دونم (١٤) .

وقد اثار مشروع هذا القانون معارضة الكتلة الشيوعية في الكنيست وعدد

من اعضاء الكنيست العرب في حزب المباي الحاكم ، مثل السيد مسعد قسيس. ومعارضو هذا القانون وعلى راسهم الشيوعيون انتقدوا التمييز القومي الصارخ الذي ينطوي عليه . اما الحكومة فقد زعمت ان القانون المقترح يستهدف تجزئة الملكيات الكبيرة لوضع حد لخطر الاقطاع (!) . .

وبموجب هذا القانون اقترحت الحكومة اعطاء ارض لاصحاب الارض المصادرة ، من املاك الغائبين ، على اساس « الاعارة والتاجير » . . او تعويضات نقدية تقل عن واحد من عشرة من قيمة الارض الحقيقية في حينه . . . في ١٩٥٠ عرضت الحكومة ثمنا للدونم الواحد في بعض المناطق ١١٥ ليرة ، في حين كان سعره في السوق ١٢٥٠ ليرة وما فوق (١٥) .

وبموجب لجنة الكنيست للقانون ، فان هدف القانون هو اعطاء شرعية لمصادرة اراضي العرب مع منحهم التعويضات في الوقت نفسه .

وكتبت « هآرتس » في حينه ان هدف القانون اعطاء شرعية للاستيلاء على اراضي العرب من قبل المستوطنات التعاونية التي ترغب في زيادة حجم اراضيها. وكتبت « هآرتس » : « ليس هناك ما يسوغ اعطاء شرعية لحقيقة ان مستوطنات معينة استغلت انتصار الدولة في الحرب الدفاعية ضد الغزاة ، للاستيلاء على اراضي جيرانهم لخدمة اغراضهم هم . . . » وعارضت « هآرتس » القانون المقترح لثلاثة اسباب هي انه مجحف ، ويفتقر الى التفهم السياسي للعوامل الضرورية لاعادة بناء المجتمع العربي ، « الذي تضررت حياته الزراعية باجراءات معوجة » ، كما ان القانون لا يعترف بان « الاستيلاء على ممتلكات الاقلية من شانه ان يقوض حق الملكية الفردية » (١٦) .

لقد ادت سياسة مصادرة الاراضي من اصحابها العرب ، الى تقويض عدد من فروع الزراعة العربية بسبب تقلص مساحة الارض ، وتدني مساحة الارض المزروعة بالنسبة للوحدة الزراعية في القرية من اكثر من ٤٩ دونما في زمن الانتداب الى حوالي ٣ دونمات الآن . وتحولت القرى العربية الى ثكنات للنوم ، للعمال الذين يتركون قراهم للعمل في الزراعة والصناعة اليهودية ، المقامة على اراضيهم التي صودرت منهم . وحرمت القرى العربية من امكانيات التطوير الصناعي والزراعي .

هذا القلق على مصير الارض ، وعلى امكانيات العيش والتطور ، والخوف من التشرد وعواقب سياسة التمييز القومي الفاضح في جميع المجالات ، هو الذي يفسر الخلفية لهبة الاحتجاج الشعبي التي انفجرت في الاضراب الشامل في ٣٠ آذار ١٩٧٦ .

فقد كانت هذه الهبة تعبيرا عن رفض العرب في اسرائيل لسياسة التمييز والمصادرة التي تتهدد بالقضاء على مقومات بقاء العرب في مدنهم وقراهم .

مشروع تطوير الجليل ، الذي تتحدث عنه الدوائر الرسمية باعتزاز ،

ليس الا عملية تهويد تهدد مستقبل سكانه العرب (١٧) : فالجليل الذي يمتد من حدود لبنان الى مرج ابن عامر والذي تبلغ مساحته ١،٥ مليون دونم ، لا تزال تعيش فيه اكثرية عربية .. وهذا هو ما يقلق اصحاب سياسة التطوير ، وليس التطوير نفسه .

جاء في مشروع التطوير المذكور :

« القضية الخاصة بالجليل هي قلة السكان اليهود بالنسبة لغير اليهود ، الذين يؤلفون ٧٠ بالمئة من مجموع السكان . في سنة ١٩٧٣ كان عدد السكان غير اليهود في الجليل ١٤٧ الفا و ٦٢ الف يهودي . وفي اطراف الجليل هناك ٤٠ الف من السكان غير اليهود يقطنون في ضواحي حيفا وفي عكا وطمرة وشفاعمرو » ..

اما اهداف مشروع تطوير الجليل فهي :

تغيير الوضع الديموغرافي الراهن بين السكان اليهود وغير اليهود ، بواسطة مشروع تطوير طويل الامد اهدافه هي :

- تحويل اقليم الجليل الجبلي الى منطقة ذات اكثرية يهودية .
- ضمان توزيع صحيح للسكان اليهود في الجليل .
- تعزيز اقتصاد السكان الموجودين فيه وهؤلاء الذين ينضمون اليهم في المستقبل .

ويستطرد اصحاب المشروع « ان القضية الاساسية في الجليل التي تنعكس في العلاقة الديموغرافية (اي الطابع السكاني) بين السكان اليهود وغير اليهود ، هي غير قائمة ، بصورة مماثلة في جميع اجزاء الجليل ... والمهمة الرئيسية الواردة في الاقتراح – تحويل الجليل الى منطقة ذات اكثرية يهودية – هي غير قابلة للتنفيذ في الحاضر الفوري ، ولذلك تقرر تنفيذ المشروع على مرحلتين : المرحلة القريبة حتى سنة ١٩٨٠ ، والمرحلة التي تعقبها حتى سنة ١٩٩٠ » .

ويشتمل المشروع على اقامة ٨ قرى صناعية : ٣ منها في اراضي التوفانية في الجليل الغربي ، و٢ منها في مجموعة مستوطنات سيجف ، و ٢ في منطقة حزون ، وكذلك العمل على زيادة السكان اليهود في المنطقة .

وهذا المشروع يتطلب المزيد من الارض التي يملكها العرب لتنفيذ هذا المخطط ، لان من طبيعة الاستيطان الجديد والتوسع ، الا يقوم على ما هو في حوزة ادارة اراضي اسرائيل الحكومية ، بل على استملاك اراض جديدة من العرب .

ومشروع « التطوير » الجديد ، هو اصدق شاهد ودليل على نوايا الحكومة وعلى معنى التطوير الذي يتحدث عنه المسؤولون .

وكانت نظرية الصهيونية فى التعامل مع العرب هي : ما اصبح فى يدنا هو لنا ، وما لا يزال فى يد العرب ، هو المطلوب ، وهو موضوع التفاوض .

فبعد تشييد الناصرة العليا ، على حساب اراضي مدينة الناصرة العربية وقرى عين ماهل والرينة وكفر كنا والمشهد ، تحاول الحكومة الآن مصادرة آلاف الدونمات الجديدة فى الناصرة وقضائها ، بما تبلغ مساحته اكثر من ٤٥٠٠ دونم ، لتوسيع المجال الحيوي للناصرة العليا ، ولتشديد الخناق على الناصرة ، المدينة العربية الوحيدة فى اسرائيل .

فالناصرة العربية ، التي يبلغ عدد سكانها حوالي ٤٠،٠٠٠ نسمة ، فان مسطح المدينة وجميع ما تملكه من ارض تقلص الى ٧،٥٠٠ دونم ، ثلثها املاك اديرة واملاك حكومية .. بينما اراضي الناصرة العليا التي لا يزيد عدد سكانها عن ٢٠ الف نسمة تبلغ ٩،٥٠٠ دونم . ومن الجدير بالذكر ان مسطح الناصرة فى عهد الانتداب حين كان عدد سكانها ١٥ الف نسمة كان ١٥ الف دونم (١٨) ، استولت الحكومة الاسرائيلية على نصفها من اجل الاستيطان اليهودي فى الناصرة العليا .

ان سياسة الحكومة لحل ازمة مسطحات البناء فى القرى العربية التي تعاني نقصا فى الارض لبناء المساكن ، هي سياسة البدل .. دونم ارض للعمار فى القرية من ارض حكومية مقابل ١٠ او اكثر من الارض الزراعية او الوعرية التي يملكها الفلاحون . وهذا الاسلوب القسري هو ايضا احدى وسائل تجريد العرب من اراضيهم .

يتحدث مشروع « التطوير » عن مصادرة ٢٠،٠٠٠ دونم ، قيل ان ٨،٠٠٠ منها ارض حكومية ، و ٥،٠٠٠ ارض يهودية .. ان الارض الحكومية التي يجري الحديث عنها ، ان كانت ميري او موات ، فللمزارعين العرب حقوق فيها بحكم المزارعة ومرور الزمن . ولا يجوز نزع ملكيتهم عنها دون مراعاة مصالح القرى والمزارعين العرب .

اراضي القرى المسجلة على اسم المندوب السامي البريطاني فى حينه ، لمصلحة القرى التي توجد فيها الارض ، هي املاك دولة بالاسم .. والحقيقة انها ارض تخص سكان القرى سجلت بهذا الاسلوب لانعدام سلطات محلية فى حينه .. وليس احق بهذه الارض سوى اصحابها الذين يقيمون عليها ، خصوصا وان هذه الاراضي هي حيوية جدا بالنسبة للقرى العربية . وهناك خلاف فى المحاكم على ما يتراوح بين ٦٠ـ٧٠ الف دونم ، حسب تقديرات المحامي حنا نقاره ، وهناك قضايا معاقة فى المحاكم على قسم كبير من هذه الاراضي ..

الى جانب « مشروع التطوير » للجليل ، هناك مخططات اخرى للمصادرة لم يعلن عنها بقرار حكومي كالمشروع المذكور . وهذه المخططات يجري تنفيذها دونما ضجة شعبية ، وتشمل عشرات آلاف الدونمات من الاراضي العربية .

ان قرار اغلاق قسم كبير من اراضي المل ، في الجليل الاوسط ، التي تخص قرى سخنين وعرابة ودير حنا ، والمعروفة بالقاموس العسكري بالمنطقة رقم ـ ٩ ، هو مقدمة لمصادرة قسم كبير منها تزيد مساحته عن جميع المساحة المقرر مصادرتها بموجب « مشروع التطوير » المذكور .

تسوية الاراضي في الشمال [19]

الوضع في الشمال في ١\٤\١٩٦٣ كان كما يلي :

١ ـ ٤٢ قرية عربية كان في حوزتها عند قيام الدولة ٧٠٦٠٠٤٩ دونم .

٢ ـ «ادارة التطوير» وقسم املاك الغائبين ادعى ملكية ٤٢٣٠٣١٠

٣ ـ الاراضي التي جرى عليها خلاف في المحاكم من

مجموع الاراضي التي ادعتها الحكومة ٢١٤٠٩٩٢

٤ ـ ما تبقى من الاراضي انتقلت ملكيته للمدعين ـ بدون نزاع .

والجدول التالي هو مثل على التغييرات في ملكية الاراضي في الفترة المذكورة [20] . .

اسم القرية	اراضي القرية	حجم الارض التي ادعتها الدولة	اراضي متنازع عليها	اراضي صادرتها ادارة التطوير	مصادرة من قبل الدولة بلا نزاع
سخنين	٦٩٠٠٠٣	٣٥٠٧٩٦	٤٠٦٦٩	٢٥٤	٣١٠١٢٧
الرامة	٢٥٠٢٤٠	١٠٠٩٦٥	١٠٠٩٦٥	—	—
دير حنا	٣٤٠٥٠٠	١١٠٠٠٦	٢٠٨١٧	١١٠	٨٠١٥٩
البعنة	١٦٠٩٨٠	٧٠٦٣٤	١٠٨٤٠	٦٣٥	٥٠٧٩٤
عرابة	٣٥٠٦٥٠	٢١٠٣١٢	١٣٠٢٨٨	٧٣	٧٠٤٢٤
مجد الكروم	١٩٠٨٩٠	١٢٠٠٧١	٤٠٣١٢	٤٤٧	٧٠٧٦٤
معليا	٣٥٠٤٠٠	١٥٠٥٧٧	١٥٠٤٦١	١٣٠٣٧١	١٠٩١٦

ولا يأخذ اصحاب سياسة المصادرة حاجة القرية العربية للارض ، ولا ينتهجون سياسة توزيع عادلة لما يسمى اراضي الدولة لفائدة جميع السكان في اسرائيل اليهود والعرب وخصوصا الذين يقيمون على الارض ويفلحونها . . ونأخذ مثلا بارزا على هذا الزعم ، الذي يعكس مأساة مزدوجة لقرية عربية مثل كفر قاسم ، ضحية عدوان ١٩٥٦ :

كانت القرية تملك ١٢ الف دونم حين جرى ضم المثلث الى دولة اسرائيل بموجب اتفاق رودس، عام ١٩٤٩، منها ٨ آلاف دونم وعرية . صادرت السلطات ٤ آلاف دونم سهلية من اراضي القرية منها حوالي (١٥٠٠) دونم بقيت تحت

تصرف القرية حتى سنة ١٩٥٢ . وما تبقى للقرية من الاراضي السهلية اقل من ٤ آلاف دونم ، فى الوقت الذي زاد فيه عدد سكان القريـة من ١٧٠٠ نسمة فى ١٩٤٩ الى ٦٥٠٠ نسمة فى ١٩٧٥ . أوامر المصادرة تتهدد حوالي ٢٥٠٠ دونم من اراضي كفر قاسم ، استحصلت الحكومة على قرارات من المحكمة بنزع اليد عن ملكية قسم منها فى اوائل ١٩٧٦ (٢١) .

مأساة النقب

لقد رافق عمليات المصادرة منذ قيام الدولة ، خصوصا فى سنيها الاولى ، عمليات تشريد للسكان العرب والاستيلاء على قرى باكملها ، كما اشرنا آنفا .. ولا تزال مأساة النقب مستمرة ، بعيدة عن اعين العالم حيث اصوات الاحتجاج لم تستطع ان تجتاز اسوار الصمت ، قبـل ان تذوب على كثبان النقب .. فى سـنة ١٩٤٨ كان يسكن النقب ٨٤ الف بدوي ، بقي منهم فى المنـاطق التي تحكمها اسرائيل ١٣ الف بدوي . واقام هؤلاء فى شمال النقب ، قرب غزة وبئر السبع وبئر عسلوج وغيرها . والسيطرة على هؤلاء البدو بيد حديدية قـامت السلطة العسكرية بتركيزهم فى مناطق اخرى ، مثل منطقة بئر السبع . وهكذا اصاب البدو كثيرا من الفوضى والاضطراب بسبب تغيير سكنهم الذي فرضتـه عليهم السلطة .. فقد أجلي نصفهم عن اماكن سكنهم واراضيهم ونقـلوا الى مناطق نظفتهـا السـلطات من قبائل بدوية اخرى فى سنة ١٩٤٨ (٢٢) .

ويبلغ عدد البدو اليوم ٣٠ الف نسمة ، قسم منهم يطالب بحقه فى الاراضي التي استصلحوها فى الماضي .. واليوم تؤجر هذه الاراضي الى عناصر مختلفة من قبل ادارة اراضي اسرائيل .

« ... ادارة اراضي اسرائيل باشرت اعمالها فى ادارة اراضي الدولـة والكيرن كاييمت . وفى السنة الاخيرة (١٩٦٢) اتمت هذه الادارة وضع اليـد على الاراضي التي تملكها الدولة فى النقب والتي تبلغ مساحتها حـوالي – ٤ ملايين دونم الممتدة من رمال حلوتسه الى الجنوب . واتمت خرائط لتسوية ملكية الارض على حوالي ٨٠٠ الف دونم فى جوار ايلات وشمالها ... » (٢٣) .

ويبدو ان نضال البدو العنيد من اجـل اعتراف السلطة بملكيتهم على اراضيهم يثير ردود فعل شديدة لدى السلطات التي تحاول مصادرة اكثر من ١٫٥ مليون دونم جديد فى النقب واجلاء البدو عن اراضيهم بحجة اقامة مساكن لاستيطانهم . ويتوج مشروع المصادرة ، اقامة مطـار جوي دولي جديد على اراضي البدو التي يعتاشون منها حاليا . والواقع ان اراضي البدو فى النقب ، هي ليست المكان الوحيد ، من ملايين الدونمات التي تملكها الحكومة ، الذي يمكن شق ارض للمطار فيها .

الانفجار السكاني وسياسة المصــادرة

اثبتت سياسة الحكومة تجاه العرب فى اسرائيل خلال ٢٧ سنة ، انهـــا سياسة تجريد العرب من اراضيهم ، حتى اصبح النقص فى الارض خطرا يهدد مستقبل السكان العرب واستقرارهم .. خصوصـــا وان سياسة المصادرة من جهة والغايات التي تستخدم من اجلها من جهة اخرى ، تشكل اجحافا خطيرا بحقوق السكان العرب واحتياجاتهم .

ويبــــدو النقص الخطير فى الارض الذي يشكو منه العرب من التلخيص التالي للاراضي التي لا تزال تحت تصرف العرب فى اسرائيــــل ، والتي تدعي الحكومة ان ٥٥ بالمئة منها هي ملك للدولة .

ميزان الاراضي فى سنة ١٩٦٣
باستثناء اراضي النقب جنوب اللد والرملة (٢٤)

مجموع الاراضي التي تستغلها القرى العربية	مناطق زراعية		مجموع الاراضي الوعرية	نسبة الارض التي تمتلكها الدولــة	
	اراضي الدولــة	ملكية خاصة		اراضي زراعية	جميع الاراضي
٤٤٥،٥٤٥	٥٩،٦٥٢	٣٨٥،٩٩٣	٤١٣،١٤٦	١٣،١ ٪	٥٥ ٪

تدل الاحصائيات المذكورة اعلاه ان الارض التي يملكها العرب فى اسرائيل لجميع الاغراض تقل عن نصف مليون دونم ارض .. مع العلم ان مساحة اراضي الدولة ، فى خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧ تزيد عن ٢١ مليون دونم ، منهـــا ما يزيد عن ٨ ملايين دونم من الاراضي المزروعة .

وتفيد احصاءات ١٩٧٣ ان عدد السكان العرب فى اسرائيــــل ٤١٢ الف نسمة ، معظمهم يعيش فى القرى العربية ، من هؤلاء ٤٦ الفا فى مناطق البدو . وتبلغ نسبة الذين يشتغلون فى الزراعة ٢٥ بالمئة من مجموع العـــاملين العرب الذكور (٢٥) .

ولم يعد تقلص الزراعة العربية هو الخطر الاكبر ، بل النقص فى مسطحات البناء والاراضي للمشاريع العامة فى القرى العربية ، خصوصـــا فى المستقبل القريب الذي لا يتجاوز عقدا من الزمن ، بالنظر الى التكـاثر السكاني الطبيعي العالي من جهة ، وتقلص مساحة الارض المستثمرة من جهة أخرى .

فالسكان العرب يتكاثرون بنسبة ٤،١ بالمئة كل سنة ، وقد بقيت هـــذه النسبة ثابتة من ١٩٥٠ ــ ١٩٧٣ . اما التكاثر الطبيعي عند اليهود ، بالمقارنة ، فهو يتراوح بين ٢،٦ بالمئة الى ١،٧ بالمئة خلال الفترة نفسها . ومن هـــذه ،

توصل بعض الاحصائيين الى ان السكان العرب يضاعفون انفسهم كل ١٧ سنة ، بينما يحتاج السكان اليهود الى ٤٤ سنة لمضاعفة انفسهم .

وهذه المعطيات تحتم توسيع مسطحات البناء في القرى وفقا لنسبة تكاثر السكان .. خصوصا وان عددا من القرى العربية اصبح يفتقر تمامـــا الى الارض حتى لمقتضيات السكن .

وتدل الاحصائيات الرسمية ان الاقلية القومية العربية في اسرائيل ، هي اقلية شابة ، فحوالي ٧٠ بالمئة من العرب هم دون سن الثلاثين .. وهاكم بعض الاحصائيات : فالذين تتراوح اعمارهم بين ٠ ـ ١٤ سنة هم ٤٩٫٦ بالمئـــة من مجموع السكان ، وبين ١٥ ـ ١٩ سنة هم ١٠٫٥ بالمئة ، وفقط ٣٫٧ بالمئة هم فوق ال ٦٥ سنة .

وتتحدث الاحصاءات الرسمية نفسها عن الاكتظاظ الاسكاني بين العرب ، الذي بلغ حدا يهدد صحة السكان . والجدول التالي يعطي صـــورة قريبة من الواقع الذي نتحدث عنه :

توزيع السكان بالنسبة للغرفة الواحدة (٢٦)

القطـــاع	نسبة السكان للغرفة الواحدة على مختلف الدرجـــات :				
	واحد	١٫٠١-١٫٥	١٫٥-٢	٢٫٠١-٤	٤ واكثر
قطاع يهودي	٤٣٫٦	١٣٫٢	٢٧٫٧	١٢٫٧	٣٫٣
القطاع غير اليهودي	١٥٫٤	٣٫٣	٢٢٫٧	٣٣٫٥	٢٥٫١

ومن الجدول اعلاه نتبين ان ٥٩ بالمئة من السكان العرب يعيشون باكتظاظ فوق ٢ نفر الغرفة . ولا يحتاج المرء الى كبير جهد ليرى ما ستكون عليه الصورة في العقد القادم ، باستمرار سياسة مصادرة اراضي السكان العرب ، لاهداف جغرافيو ـ سياسية ، لا تمت الى التطوير بصلة ، خصوصا التطوير في القطاع العربي .

ولم تخف وسائل الاعلام ، ان مصادرة اراضي العرب في الجليـــل ، هي ليست التطوير الفوري ، لانعدام الامكانات المادية والقوى البشرية اليهوديـــة المعدة للاسكان في المستوطنات المنوي اقامتها على الارض المصادرة .. بـــل ان المصادرة هي احتياطية لما سيكون .. فضلا عن تغيير صفة الجليل الديموغرافية .

صيحــة ٣٠ آذار ١٩٧٦

كان الاضراب الشامل ، الذي اعلنته الجماهير العربية في اسرائيل بمثابة زلزال شديد هز الدولة من اقصاها الى اقصاها . وقلب هذا الاضراب مشاريع

حكومة الاضطهاد راساً على عقب .

لقد بطشت الحكومة بهذا الاضراب مستخدمة قوات الجيش وحرس الحدود والشرطة بسبب فزعها من وحدة الجماهير العربية ، وحدة قوضت مواقع الاحزاب الصهيونية التي اقامتها في الوسط العربي باساليب الارهاب والكبت خلال ٢٧ سنة من عمر الدولة .

واثبت عدوان السلطة على جماهير عزلاء انها تنظر الى السكان العرب في اسرائيل نفس نظرتها الى سكان المناطق المحتلة .. واعترف مستشار رئيس الحكومة لشؤون العربية ان سلوك الحكومة طمس الفوارق بين معاملة العرب في اسرائيل ومعاملة العرب في المناطق المحتلة .

والتضامن الذي ابداه سكان المناطق المحتلة باعلان الاضراب العام والتظاهر في ٣٠ آذار ١٩٧٦ ، وسقوط الضحايا من القتلى والجرحى ، انما كان تضامنا طبيعيا لابناء شعب واحد مزقته اوصاله المؤامرة الامبريالية ـ الصهيونية بمساعدة الرجعية العربية .

اضراب ٣٠ آذار فتح عيون العالم والقوى المحبة للسلام على عمق مأساة الشعب العربي الفلسطيني ، بجميع اجزائه ، وعلى خطورة سياسة التوسع الاسرائيلي ، هذه السياسة التي تنذر بزج المنطقة في اتون صراعات دامية تهدد السلام العالمي باسره .

لقد زعمت ابواق الرجعية الحاكمة في اسرائيل ان ٣٠ آذار قد حرق جسور التعايش بين الشعبين اليهودي والعربي ...

والسؤال هو : متى كان هذا التعايش قائما ، وبأي شكل ؟ .. لقد اثبت العرب في ٣٠ آذار ، في يوم الارض التاريخي ، انهم يرفضون تعايش الفارس والفرس .. تعايش الضحية والجلاد .. وتعايش العبد والسيد .

جسور التعايش الحقيقية تقوم على اساس المساواة التامة في الحقوق ، والاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني ، والانسحاب الكامل من المناطق المحتلة ، والاعتراف بحق اللاجئين العرب بالعودة او قبول التعويض .

ان اتهام السلطة الآخر حول ولاء العرب للدولة ، فان اقصى درجات هذا الولاء هو دفاع السكان العرب عن اراضيهم ، ومصدر رزقهم وملاعب طفولتهم .

ان تنفيذ سياسة المصادرة بعد كل الذي حدث في ٣٠ آذار ، والتصريحات التي اعلنها المسؤولون وعلى راسهم رئيس الحكومة ، بان هذه السياسة هي جزء من تحقيق الهدف الصهيوني في فلسطين ، انما تضع جميعها علامة سؤال كبيرة على مستقبل التعايش ، وعلى امكانات التفاهم اليهودي ـ العربي وبالتالي مستقبل السلام في المنطقة .

وليس نضال الجماهير العربية سوى مساهمة جوهرية في النضال من اجل حماية السلام ومنع حرق جسور التفاهم بين الشعبين .. فهذا النضال هو دعامة كبيرة هامة لنضال القوى الدمقراطية اليهودية في اسرائيل التي تحاول وقف التدهور نحو الهاوية .

اشـــارات

١ ـ ت. هيرتسل ـ المختارات ـ طبعه نويمان ، تل ابيب ، مجلد ٧ ، الكتاب الاول ، ص ٨٦ .

٢ ـ اوشسكين ، ١٩٤٣ : ١٠٥ (اقتباس ، كراسة دراسات في السوسيولوجيا ، كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية ـ اليعازر كبلان . الجامعة العبرية ـ كلية السوسيولوجية ـ القدس ١٩٧٣ بالعبري .)

٣ ـ دون بيرتس ـ اسرائيل وعرب فلسطين ـ اصدار مؤسسة الشرق الاوسط ـ واشنطن ، ١٩٥٨ .

٤ ـ نشرة حارس املاك الغائبين ، كانون الثاني ١٦ ، ١٩٥٣ ، « هآرتس » و « جروزلم بوست » ١٨ كانون الثاني ١٩٥٣ ـ (اقتباس دون بيرتس ـ المصدر السابق) .

٥ ـ المصدر نفسه : « هآرتس » ١٥ حزيران ١٩٥١ .. حسب مصدر اسرائيلي مجموع القرى العربية في المناطق التي تتالف منها اسرائيل اليوم كان ٨٦٣ قريــة في سنة ١٩٤٥ . ا. اغرانوت ، الاصلاح الزراعي وسجل اسرائيل ، بالانجليزية ، (لندن ١٩٥٦) ص ٨٩ .

٦ ـ حكومة اسرائيل ، الحارس على املاك الغائبين ، المصدر نفسه .

٧ ـ الارقام الاسرائيلية عن حجم املاك الغائبين ونسبة الارض المفتاحة الى غير المفتلحة تتفاوت . ابراهم اغرانووت ، في كتابه الاصلاح الزراعي وسجل اسرائيل (لندن ١٩٥٦) ص ٨٩ يقول : لا نعرف اتساع الاملاك المتروكة ... حسب بعض المصادر ، اعتمادا على معطيات ١٩٤٩ ، تتالف هذه الاملاك من ٣ انواع . الاول اراضي زراعية في القرى العربية تبلغ ...،١،٤٣٧٣ دونم ، الثانيــة اراضي جرداء في القرى العربية تبلغ ...،٢،٤٧٢ دونم ، والثالثة اراضي شمال النقب يفلحهـا عادة البدو وتبلغ ...،١،٤٧٠ دونم ، اي مجموع ...،٥،٧٩٣ دونم . النقب الجنوبي الذي كان بالغالبية غير مفتاح ولا معمور ، لم تكن اراضيه ملك احد حسب غرانوت ، الذي يقدر مساحة هذه الاراضي ب ...،١٠،٠٨٠ دونم . ويعتقد غرانوت ان لا ملكية ثابتة لاحد في شمال النقب بالنسبة ل...،١،٤٧٠ دونم «والتي لا يمكن اعتبارها جميعا املاكا متروكة»، مع انها طبعا تشمل اقساما بدون ملاكين . كما انه لا يمكن الافتراض بأن جميع هذه البراري كان لها اصحاب هم غائبون الان . ولهذا يجب تقليص الرقم ...،٥،٧٩٣ دونم » . ان تقدير مصلحة التطوير الحكومية الاسرائيلية لمساحة

الاراضي المتروكة هو ٤،١٨٣،٦٦٩ دونم . ويذكر غرانووت في صفحة ٢٥٤ من كتابه ان ٣ ملايين دونم من الاراضي المتروكة العربية هي اراضي مفتلحــة و ١،٨ مليون دونم غير مفتلحة . اراضي الغائبين موزعة ، وفق مصادره على المناطق التالية : بئر السبع في النقب ٦٠٠،٠٠٠ دونم ، عكا ١٤٨،٥٨٠ ، بيسان ١٤٧،٤٧٧ ، الناصرة ٨٦،٣٩٣ ، صفد ٤٣٥،٦٦٠ ، طبريا ١٦٠،٧٣١ ، حيفا ٢٥٨،٤٨٨ ، يافا ١٤٥،٢٥٤ ، جنين ١٢٥،٨٢٥ ، نابلس ٨،٨١٤ ، طولكرم ٢٣٤،٢٠٩ ، الخليل ١٤٠،٠٦،٥٤٧ ، القــــدس ٢٠٩،٣٥٢ ، غزة ٦٤٠،٥٠٣ ، الرملة ٤٥٥،٨٣٤ ، وقرى من مختلف المناطق ١٢٠،٠٠٠ دونم .

٨ ـ كيمرلنلغ بروخ ـ النضال على الارض (بالعبرية) كلية الاقتصاد وعلوم الاجتماع على اسم اليعازر كبلان ، الجامعة العبرية ، القدس ـ ١٩٧٣ .

٩ ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٧٠ .

١٠ ـ تقرير لجنة بيل ، ١٩٣٧ ، ص ١٥٧ .

١١ ـ المصدر نفسه .

١٢ ـ المصدر السابق نفسه . اقوال بن غوريون المشار اليها وردت في جلسة اللجنــة الموقتة (٢٠-٢-١٩٢٠) التي عقدت لبحث الخطوات التي يجب اتباعها في مسألة تل حاي والجليـــل « الفرنسي » .

١٣ ـ دون بيرتس (حقائق عن اسرائيل ، مكتب الاستعلامات الاسرائيلي ـ نيويورك) ، ١٩٥٧ ، ص ٤٦ .

١٤ ـ المصدر نفسه .

١٥ ـ اقوال الكنيست ، مجلد ـ ١٣ ، ص ٨٨٩ ـ ٨٩٨ .

١٦ ـ المصدر نفسه («هآرتس» ١-٣-١٩٥٣) .

١٧ ـ اقتراح مشروع تطوير الجليل ـ النشرة الشهرية لوزارة الزراعة ، اكتوبر ١٩٧٥ .

١٨ ـ الدونم ـ ارض مساحتها (١٠٠٠) متر مربع . الهيكتار ـ ١٠ دونمات تقريبا .

١٩ ـ تقرير عن اعمال ادارة اراضي اسرائيل (تموز ١٩٦٣) ص ٧٦ ـ ٧٧ .

٢٠ ـ المصدر نفسه .

٢١ ـ مذكرة بعث بها مجلس محلي كفر قاسم الى مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية .

٢٢ ـ ملحق « عل همشمار ـ حوتام » ، رقم ٢٥٢ ، بتاريخ ٦-١١-١٩٧٤ .

٢٣ ـ خطاب موشه ديان ، وزير الزراعة ، في الكنيست حول الزراعة العربية ـ شباط ١٩٦٣ .

٢٤ ـ معطيات تقرير حول تخطيط قرى الاقليات ، باشتراك مركز التخطيط الزراعي والاستيطاني مع وزارة الزراعة في منطقة الناصرة ، ١٩٦٣ .

٢٥ ـ تقرير الاحصاء السنوي لاسرائيل ، ١٩٧٤ ، رقم ٢٥ ، الدائرة المركزية للاحصاء .

٢٦ ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٢٨٣ .



● الحرس الفتي لمستقبل شعبنا على ارض الآبـــاء والاجداد ، يهتف في وجـه فرمانات النهب : « بالروح ، بالدم ، نفديك يا جليل ! » ●



● قوات « الأمن » التي عادت واستكملت احتلال مواقعها في الناصرة ، تشن هجوماً « امنياً » على الرفيقة نائلة زياد زوجة رئيس البلدية وعضو الكنيست الشاعر الرفيق توفيق زيـاد ●



● وجه السلطة العنصرية ●



● خطى الأجيال العربية ●



● الرفيق توفيق زياد ، يرفع صوت الشعب ! ●

ابراهيم مالك

الزراعة العربية في اسرائيل - معالجة أولية

تنعكس فى الزراعة العربية فى اسرائيل المعالم الاساسية للتمييز القومي الذي يتعرض له الاهلون العرب فى هـــذه البلاد . وتشكل الزراعة العربية احدى القضايا الوطنيـــة الاساسية التي تواجه الجماهير العربية فى اسرائيل فضلا عن كونها قضيـــة اقتصـادية وسياسية واجتماعية .

وتكتسب دراسة هذه القضية أهميـــة خاصة لكونها مرتبطـــة بالارض ، التي هي قضية الجماهير العربيـــــة الجوهرية فى اسرائيل والتي بدونها يتحول الاهلون العرب الى لاجئـين فى وطنهم ، ولان ٧٠ بالمئة من العرب فى اسرائيل يعيشون فى قرى ، كـانت حتى زمن قصير جـدا تعتمد فى اقتصادياتها على الزراعة ، ولكونها ترتبط مباشرة بمصالح وحقوق قطاع عريض من المزارعين العرب .. ولكن على الرغم من هذه الاهمية الخاصـــة لقضية الزراعة العربية لم تجر دراسة جدية وعميقة لهذه القضية حتى الآن ولآفاق تطور الزراعة العربية فى اسرائيل . وان تكن وزارة الزراعة قد أجرت عددا من البحوث حـــول اوضاع الزراعة العربية فى اسرائيل ، الا ان هذه البحوث كـانت تستهدف اجراء مسح لاوضاع الزراعـــة العربية دون البحث عن جوهر القضية الاساسية، التي تعاني الزراعة العربية منها ، وعن الوسائل الكفيلة بتطوير الانتاج الزراعي فى الوسط العربي ورفـــع كفاءة ومستوى مداخيل المزارعين العرب .. من الواضح انه يصعب فى اطار هذه المقالـة دراسة جميع وجوه القضية الزراعية فى قرانا العربية .. فكثيرة هي المعطيات التي تنقص لذلك . ويتطلب الامر دراسة القضيـــة على الطبيعة مباشرة . كما ان المعطيات الرسمية عامة قد تثير انطباعات خاطئة وغير صحيحة . والهدف من هذه المقالة القيام بمعالجة أولية متواضعة لقضية الزراعة العربية فى اسرائيل التي يجب معالجتها فى اطار اوسع واعمق من اطار المقالة .

تواجه الزراعة العربية فى اسرائيل سلسلة من القضايا التي تحول دون تطورها . وهي